المقدسى مؤرخاً لبلدان العرب

من خلال كتابه : « أحسن التقاسيم »

د. عبد الفتاح فتحى عبد الفتاح(*)

تقديم :

التاريخ والجغرافية عند العرب فرعان متقاربان من فروع شجرة المعارف العامة المعروفة بـ (الأدب) . ولذا فإن عدداً من الرواد كانوا مؤرخين وجغرافيين فى الوقت نفسه(١) ، مثل : « هشام بن محمد بن السائب الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩م »(٢) ، واليعقوبى المتوفى سنة (٢٨٤هـ / ٨٩٧م)(٣) .

وقد شهد القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) - وهو قرن ازدهار الحضارة الإسلامية - اهتماماً واسع النطاق بالمصنفات الجغرافية ، فيما عرف بكتب (المسالك والممالك) . وقد أطلق كراتشكوفسكى على عدد من أعلام المصنفين فى ذلك المجال - من أمثال : البلخى(٤) ، (ت ٣٢٢هـ / ٩٣٤م) ، والاصطخرى المتوفى حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى(٥) ، والمقدسى (أواخر القرن الرابع الهجرى / العاشر للميلاد) - لقب أصحاب (المدرسة الكلاسيكية) ، قاصداً بذلك اقتصارهم فى مؤلفاتهم على أقاليم دار الإسلام ، وبلوغهم منزلة جيدة فى فن رسم الخرائط(٦) ، وحول آخر هؤلاء الأعلام (المقدسى) يدور هذا البحث .

أولاً : التعريف بالمقدسى :

نبدأ بالإشارة إلى ندرة المادة العلمية المتاحة فى تراجم ذلك العلم الجغرافى المؤرخ ، وإلى تناقل المراجع المتوالية لها واجترارها ، دونما إضافات حقيقية شافية . ولعل هذا النوع من العلماء ، الذين غلبت عليهم اهتماماتهم الجغرافية لم يحظ

(*) مدرس التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

باهتمام مصنفى كتب التراجم والطبقات ، الذين وجهوا انتباههم إلى المحدثين ، والفقهاء ، والمفسرين وغيرهم ، ولم يفطنوا إلى تراجم الجغرافيين . وإزاء ذلك النقص الشديد فى المادة ، حاولت سد الخلل عن طريق استخراج المزيد عنه من خلال كتابه : (أحسن التقاسيم) .

أولا : نسبه وأسرته :

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر البناء المقدسى(٧) ، الحنفى(٨) ، المعروف بـ (البشارى)(٩) ، ومن خلال سياقه نسبه السابقة ، وما توفر لدىمن معلومات نلاحظ ما يلى :

(أ) أن (المقدسى) شامى فلسطينى ، ينتمى إلى مدينة (بيت المقدس) تحديداً ، كما هو ظاهر من نسبه ، وعلى نحو ما صرح به فى كتابه(١٠) .

(ب) أنه يتبع المذهب الحنفى فى الفقه ، وسنرى بعض التفاصيل عن ذلك عند تناول (ثقافته) .

(جـ) أن جده لأبيه(١١) المعروف بـ (أبى بكر البناء) كان من أشهر البنائين ، وأمهرهم ، وأبرعهم فى زمانه . ولعل ما قام به من تشييد التحصينات القوية الخاصة بميناء (عكا)(١٢) ، زمن أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٧٠هـ / ٧٦٨ - ٨٨٣م) يشهد له بالريادة فى مجال (الهندسة المعمارية) ، التى تمكن - بمقتضاها - من الاهتداء إلى البناء فى الماء فى ذلك الوقت المبكر . وقد حظى بإعجاب ابن طولون ، فدفع إليه ألف دينار ، بخلاف الخلع وغيرها من المركوب ، علاوة على تخليد اسمه بتسجيله على الميناء ، اعترافاً بفضله فى حماية الميناء ومراكبه من إغارة الأعداء(١٣) .

(د) عرفنا - من خلال قراءة كتاب المقدسى - أن والده كان على درجة ما من الثراء ممتلكاً عدداً من الغلمان ، الذين روى عنهم المقدسى فى كتابه عند حديثه عن بناء الحمامات فى (إقليم فارس)(١٤) .

(هـ) كان عمه (أبو على الحسن بن أبى بكر) ، مهتماً بالآثار المعمارية القديمة فى مدينة (بيت المقدس) ، وعنه روى المقدسى ما يتصل بموقع قبر سيدنا يوسف (عليه السلام) بأرض فلسطين . وقد ذكر أن عمه المذكور ، وجده، كانا يشرفان على عمليات حفر العمال ، حتى انتهوا إلى خشب العجلة - ربما التى يظن أن جثمان يوسف حمل عليها - قد أكلتها الأرض . ولم يزل المقدسى يجد من بقاياها عند عجائز قومه ، يستشفين بها من الرمد(١٥) .

(و) وردت إشارة سريعة إلى أسرة والدة المقدسى فى كتاب: (أحسن التقاسيم)، إذ ذكر المؤلف أن جده لأمه (أبا الطيب الشوا) ينسب - فى الأصل - إلى كورة (قوميس)(١٦) ، بـ (إقليم الديلم) ، وإلى مدينة (بيار) تحديداً ، تلك التى تعد إحدى مدن قصبة (قومس) المسماة بـ (الدامغان) . وقد رحل هذا الجد إلى بلاد الشام مع ثمانية عشر رجلاً(١٧) فى وقت لم يحدد بدقة . ويبدو أنه استقر مع أسرته هناك ، وطاب لهم المقام .

وأخيراً فقد أشار المقدسى - فى كتابه - إلى خاله (عبد الله بن الشوا)، وروى عنه خبراً يتصل بـ (قرية دير شمويل) القريبة من (ايليا) بـ (إقليم الشام)(١٨) .

وهكذا ، رسمنا الملامح العامة للأسرة التى نشأ فى رحابها المقدسى ، من خلال الشذرات المتناثرات فى كتابه . ويتضح منها مقدار ما تمتعت به هذه الأسرة من مكانة متميزة مادياً وعلمياً (من جهة الأب) ، وأنها تضرب بأصولها فى بلاد المشرق (من جهة الأم) . ولعل هذه الازدواجية كان لها تأثيرها فى تقسيم المقدسى كتابه إلى قسمين : (أقاليم العرب) ، و(أقاليم العجم) ، إلى جانب تأثيرات أخرى نتعرض لها عند دراسة كتابه فيما بعد .

ثانياً : حول مولده ، ووفاته :

لم تحدد سنة ميلاد (المقدسى) تحديداً مباشراً ، لكن أمكن معرفتها - على نحو قاطع - عن طريق التاريخ ، الذى حدده الرجل لظهور كتابه : (أحسن التقاسيم) ، إذ ذكر أنه أخرج إلى حيز الوجود سنة (٣٧٥هـ / ٩٨٥م) ، وهو فى الأربعين من عمره(١٩) . وبعملية حسابية يسيرة ندرك أنه ولد سنة (٣٣٥هـ/ ٩٤٦م)(٢٠) .

أما بالنسبة لتاريخ الوفاة ، فليست ثمة إشارة ، ترشدنا إلى تحديده على النحو الذى حدد به تاريخ مولده . وقد تباينت آراء الباحثين بهذا الصدد ما بين سنوات: (نحو ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)(٢١) ، و (حوالى ٣٩٠هـ / ١٠٠٠م)(٢٢) ، و(بعد سنة ٣٧٨هـ / بعد ٩٨٨م)(٢٣) ، و(بين (٣٧٥ - ٣٨١هـ/ ٩٨٥ - ٩٩١م)(٢٤).

والحق أنى لم أقف على دليل يؤدى إلى الجزم بأى من التواريخ السابقة ؛ فإن أحداث كتاب المقدسى إذا لم تتجاوز سنة ٣٨٠هـ ، أو وقفت أخباره عند ذكر (الخليفة الطائع ٣٦٣ - ٣٨١هـ / ٩٧٣ - ٩٩١م) دون تجاوزه إلى ما وراءه من الخلفاء ، ليس بدليل أكيد على وفاته فى عهد ذلك الخليفة(٢٥) ، خاصة أن الكتاب كتاب جغرافى فى المقام الأول ، ولا يسرد الأحداث التاريخية بشكل أساسى ، حتى نعلل توقفه عند خليفة محدد بالوفاة . وبالنسبة لمن جعل الوفاة سنة ٣٨٠ ، أو ٣٩٠هـ ، فلم أجد مسوغاً لذلك التحديد . ولعل القول بالوفاة بعد سنة ٣٧٨هـ أقرب الآراء رغم عدم تحديده . وربما اتكأ فى ذلك - فيما يبدو - على ما ورد من صدور إحدى مخطوطتى الكتاب سنة ٣٧٥ هـ ، والأخرى سنة ٣٧٨هـ ، فتكون الوفاة بعدها(٢٦) . وعلى كل ، فخروجاً من هذا الخلاف أقول: لعله توفى أواخر القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى .

ثالثًا : سماته الشخصية :

اهتم بإبراز هذه السمات من واقع نصوص (كتاب المقدسى) ؛ تعويضاً للنقص الشديد فى معلوماتنا عنه ، وتسليطاً لمزيد من الأضواء عليه ، بما يفيدنا عند دراسة كتابه كمصدر من مصادر تاريخ العرب .

١ – الجانب الخلقى :

من خلال بعض عبارات المقدسى يتبين لنا ما يتمتع به من حس دينى ، وخلقى رفيع ، ونية صادقة دفعته إلى تأليف كتابه . فمثلاً : يتوجه إلى الله سائلاً إياه التوفيق فى إتمام هذا العمل ، فيقول : « وسألت الله عز اسمه – أن يجنبنى الخطأ والزلل ، ويبلغنى الرجاء والأمل »(٢٧) . ويقول فى موضع آخر مبيناً هدفه منه ، فيذكر أنه يريد أن « يقيم علماً يحيى به ذكره، ويحقق به نفعاً للخلق ، يرضى به ربه »(٢٨) .

يرى بعض الباحثين أن المقدسى يتصف بالفخر والزهور ، والاعتداد بالنفس(٢٩)، إضافة إلى أنه ينقد سابقيه جميعاً فى أسلوب لاذع ، لا يغفره له أن كتابه أحسن ما الف المشارقة فى باب (المسالك ، والممالك ، والبلدان ، والرحلات)(٣٠) .

ولعل من أقوى العبارات ، التى دفعت إلى هذا الاتهام ما ذكره المقدسى – وهو يقارن بين كتابه ، وكتب الآخرين – من أن الناظر فى كتابه يجده (نسيج وحده ، يتيماً فى نظمه)(٣١) ، إلى جانب القصيدة التى نظمها فى ختام كتابه ، وافاض فيها فى ذكر ميزاته ، ومظاهر إبداعه(٣٢) .

والحق أن ما اتهم به المقدسى لا يمكن التسليم به على إطلاقة ؛ إذ يمكن تفسيره على أنه فرط ثقة بنفسه وقدراته ، وإنجازه ، حتى مدحه أحد الباحثين بقوله : إنه « لا يغمط حقه فى الفهم والذكاء والأصالة ، والطرافة، وقوة الملاحظة»(٣٣) . ويدعم هذا التفسير وجود عدة مواضع فى كتابه نفسه يظهر

تواضعه فيها جلياً ، مثل قوله : « ثم إنى لا أبرء نفسى من الزلل ، ولا كتابى من الخلل ، ولا اسلمه الزيادة والنقصان ، ولا أفلته من الطعن على كل حال »(٣٤) . ثم إننا نجد الرجل يذهب إلى مدى أبعد فى التنزه عن كل غرض وضيع من وراء تأليف كتابه ، ويسمو به إلى درجة الفرض الحتمى اللازم ، الذى يدفعه إلى أدائه ما امتلك من أسبابه وأدواته ، فيقول : (لو وجدنا رخصة فى ترك جمع هذا الأصل ما اشتغلنا به ، ولكن لما بلغنا الله (تعالى) أقاصى الإسلام ، وأرانا أسبابه، وألهمنا قسمته ؛ وجب أن ننهى ذلك إلى كافة المسلمين . ألا ترى إلى قوله تعالى : « قل : سيروا فى الأرض »(٣٥) ، و « أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا»(٣٦) . وفيما نذكر عبرة لمن اعتبر وفوائد لمن سافر)(٣٧) ، وأخيراً، فإن نقده الموجه إلى السابقين كان قائماً على أساس علمى(٣٨) ، ولم يكن هدفه التقليل ، أو الحط من شأنهم ، ثم إنه لم يمنعه من الاعتراف بمكانة بعضهم(٣٩) . وهكذا يمكن القول : إن المقدسى لم يكن يتسم بالزهو والخيلاء على طول الخط ، وإنما كان فيه خلق التواضع أيضاً ، ولا يعيبه إلا ما يند عنه - أحياناً - من عبارات الثقة الزائدة بالنفس ، مما كان التورع عنها به أولى .

يتصف المقدسى - أيضاً - بالتقوى والورع ، والزهد . ونلمس ذلك مما كشفه لنا فى كتابه من حب الورعين والمتعبدين(٤٠) ، وإيراد بعض الروايات عن الزاهدين(٤١) . ويضاف - إلى ذلك - ما نثر من حكم فى الزهد فى كتابه ، عندما بين أن الأرباح - أبداً - مع الأخطار ، وأن على العبد أن يعلم أن الله يعطى العبد جزاء ركعتين ، يصليهما بالإخلاص ، أكثر من الدنيا بحذافيرها . وماذا يصنع العبد بنعمة الموت من ورائها ، وجمع أموال لابد من تركها(٤٢) ؟! وأخيراً الناظر فى خاتمة كتابه يقف على مدى تقواه وورعه من خلال تضرعه إلى الله (عز وجل)(٤٣) .

٢ – الجانب النفسى :

تمتع المقدسى بخلة أصيلة فيه هى (قوة الإرادة ، ومضاء العزيمة) . ولا ريب أن هذه السمة المهمة هى التى ارتكن إليها فى تحمله مشاق رحلاتـه ، التـى اعتقـد انه جمع فيها خيرى الدنيا والآخرة (المال مـن العمـل والتجـارة ، والعلـم بجغرافيـة وتواريخ وأحوال البلدان التى زارها) . وقـد سـجل لنـا الرجـل فـى كتابـه مـدى الجهود الكبيرة ، والصعاب الشديدة التى تجشمها فى جولاتـه بـالبلدان ، وزياراتـه أقاليم الإسلام (عربا ، وعجمـاً) ، ومنهـا يتبـين لنـا أنـه كـان يلتقـى بالعلمـاء ، ويخالط الملوك ويدخل فى خدمتهم ، ويجـالس القضـاة ، ويـدرس علـى الفقهـاء ، ويـتردد علـى الأدبـاء والقـراء والمحدثـين ، ويغشـى مجـالس الزهـاد والمتصوفـة ، والقصاص والمذكرين ، ويعاشر التجار وعوام الناس ، كل ذلـك مـع تفطـن قـوى وفهم جلى ، مع ملاحظة ما حوله من مناخ ومياه ، وتحكم عظيم فى النفس حيث الصبر عن المعصية ، ونصح المسـلمين ، والصـبر علـى ذل الغربـة ، مـع مراقبـة الله والخشية منه(٤٤) .

واتفق مع الأستاذ الدكتور حسين مؤنس علـى أن أمثـال تلـك الرحـلات ، على مـا فيهـا مـن تحمـل المخـاطر واستجلاء المجهـول ، ليسـت مـن قبيـل الفخـر آنذاك(٤٥) ؛ إذ لم يكن ركوب المخـاطر ، والمجازفـة بـالنفس ممـا يعلـى قـدر المـرء حتى يتجشم الكذب فيه ، اللهم إلا إذا ثبت بالدليل المقبول عدم تحـرى أصحابهـا الصدق(٤٦) ، وهو ما ننزه عنه عالماً من طراز المقدسى .

٣ – الجانب الثقافى :

لا شك فى أن شخصية طلعـة نهمـة كشـخصية المقدسـى ، لابـد أن تنهـل وتروى من معين الثقافة التى تعاصرها . والمطالع كتاب المقدسى يلمس – بوضوح – موسوعية ثقافته . ومن أبرز معالم ثقافته(٤٧) :

(أ) ثقافته العربية الأصيلة :

لقد امتلك المقدسى ناصية البيان بالعربية - لغة عدد غير قليل من الأقاليم التى زارها - التى أحسن الكتابة بها ، وذلك واضح من أسلوبه الجزل الرصين ، وجملة ذات الفواصل الموسيقية المؤثرة ، التى رآها البعض تصنعاً وتكلفاً ، وجد فى بداية ، وخاتمة ، وصلب الكتاب دون داع(٤٨) .

وبالنظر فى اسلوب الرجل ومراجعته ، ألفيته أسلوباً بلاغياً راقياً ، لا تكرار ولا إملال فيه غالباً ؛ مما يدل على تمكنه اللغوى وفصاحته . ومن ذلك قوله فى خطبة كتابه : (الحمد لله الذى خلق فقدر ، وصور فاتقن صنع البرية ، بلا مشير يناصره ، ودبرها بلا معين يعاضده . اتقنها أى اتقان ، وأحكمها بلا أعوان)(٤٩). وفى سياق حديثه عن جهاده فى رحلاته ، قال : (ودورانى على التخوم حتى حررتها ، وتنقلى إلى الأخبار حتى عرفتها ، وتفتشى عن المذاهب حتى علمتها)(٥٠) .

ويلاحظ على المقدسى - أيضاً - أنه متقن لمفردات المعجم اللغوى العربى ، ويميل إلى استخدام غريب اللغة نوعاً ما . ومن ذلك قوله : (فكركرهم عنى)(٥١). وذلك فى أثناء إشارته إلى إنقاذ أحد الكتبة له من بين أتباع أحد المفرطين فى حب معاوية ﷺ ؛ لأن المقدسى تجاسر ، وكذب حديثاً موضوعاً ، رواه ذلك الرجل فى فضل معاوية . وكذلك قوله عن هواء بيت المقدس شارحاً موضحاً : سجسج (لا حر ، ولا برد شديد)(٥٢) . وأيضاً قوله عن ذهابه إلى إحدى المناطق ، فوجدها خالية : (فلم أر بها دياراً)(٥٣) .

وأخيراً ، فإن بكتاب المقدسى شواهد ، تدلل على إلمامه بعدد من فنون العربية (رجزاً(٥٤) . وأمثالاً(٥٥) ، وشعراً)(٥٦) . ويضاف - إلى ما سبق - معرفته بمدلولات الألفاظ المستخدمة المتباينة بتباين الأقاليم(٥٧) .

(ب) ثقافته الجغرافية :

لا شك فى أن رحلات المقدسى إلى أقاليم الدولة الإسلامية المختلفة ، واهتمامه بمطالعة المصادر الجغرافية قدم له زاداً وفيراً ، ومادة علمية غزيرة ، منها ألف كتاب (أحسن التقاسيم) . وسأكتفى بمثال واحد كشاهد على دقة معرفته بالبلدان(٥٨) حيث عقد فصلاً لبلدان وكور ، تتفق أسماؤها ، وتتباين مواضعها ، ويشكل على الناس أمرها ، والمنسوبون إليها (مثل : البصرة بالعراق وبالمغرب(٥٩) ، وحلوان التى هى كورة بالعراق ، ومدينة بمصر ، وقرية بنيسابور)(٦٠) .

(جـ) ثقافته فى العلوم الإسلامية :

فى القراءات : تبين لنا – من خلال بعض نصوص كتابه – أنه لديه إلمام بـ (علم القراءات القرآنية) ، فهو – شخصيا – لديه ميل وإتقان لقراءة (عبد الله بن عامر)(٦١) ، وبها قرأ القرآن فى مصر(٦٢) . ومن خلال تناولة ثقافات أهل الأقاليم التى يحدثنا عنها ، أورد معلومات تدل على إحاطته باتجاهات الأقاليم المختلفة فى علم القراءات فى زمانه (فى القرن الرابع الهجرى) . فمثلاً : فى الحجاز توجد قراءات نافع ، وابن كثير ، وغيرهما . وقراءة أهل الشام – ومنهم : المقدسى – هى قراءة (عبد الله بن عامر)(٦٣) .

فى الحديث : أورد المقدسى عدداً من الأحاديث النبوية الشريفة فى كتابه ، وحرص على ذكر أسانيدها كاملة ومناسباتها الجغرافية ، مثل : حديث إعادة بناء الكعبة لدى تعريفه بـ (مكة)(٦٤) ، ومجموعة أحاديث عن مكان إحرام أهل المدينة ، والشام ، ونجد (وذلك عند تناول الجحفة ، وقرن)(٦٥) ، وغير ذلك من الأحاديث(٦٦) .

فى الفقه : اهتمام المقدسى بـ (علم الفقه ، ورجاله) اهتمام أصيل . فالرجل فقيه حنفى تتلمذ بالعراق على أيدى الفقهاء الأحناف ، وأختار مذهبهم ، وفضله عما سواه من المذاهب(٦٧) . وللفقهاء عنده منزلة سامية ، فيحترمهم ويعرف فضلهم ، ويرفعهم فوق أهل العلم والأدب عامة(٦٨) ، وقد تأثر المقدسى فى دراسته للأقاليم بمصطلحات الفقهاء ، فذكر أنه قد أجرى مسائل كتابه على (التعارف ، والاستحسان) ، كما أجرى الفقهاء كتابى (المكاتب ، والإيمان) ، ورتبه على مذاهب أهل العراق التى فيها تفقه ، وإياها اختار ، واستعمل القياس فى مواضع تحسن وتليق(٦٩) .

لقد احتوى كتاب (أحسن التقاسيم) على باب من (مقدماته) ، خصص لذكر المذاهب عامة (فقهية ، وكلامية ، وحديثية) . وتناول بالحديث المذاهب الفقهية وأصولها وأئمتها ، وما تفرد به كل مذهب منها عما سواه(٧٠) . هذا ، إلى جانب إشاراته المتعددة فى كتابه إلى المناظرات والمناقشات الفقهية الدائرة حول بعض المسائل الخلافية فى الأقاليم الجغرافية التى يعرضها(٧١) ، إلى جانب سرد بعض أحكام الدين عندما تلوح المناسبة(٧٢) .

رابعاً : (دراسة القسم الأول من كتاب : «أحسن التقاسيم»)(٥٠):

من المعلوم أن المقدسى قسم كتابه المذكور إلى قسمين :

أحدهما : خاص بأقاليم العرب .

وثانيهما : يتعلق بـ (أقاليم العجم) . ولما كانت دراستنا فى هذا البحث تنصب على جانب (تاريخ العرب) ، فقد اقتصرت الدراسة عل (القسم الأول) فقط ، كمحاولة لتسليط الأضواء على المادة التاريخية – تقليدية ، وغير تقليدية – المبثوثة فى ثنايا هذا المصدر الجغرافى الأصيل .

١ – عرض عام لمحتويات هذا القسم :

١ – بدأ المقدسى كتابه بمقدمة عامة ، أثنى فيها على الخالق المبدع سبحانه ، مبيناً قدرته فى بعض ظواهر الكون ، ثم ذكر أهداف تأليف كتابه ، وموضوعه ، وفوائده ، وأهميته ، وما بذل فى جمعه من جهد(٧٤) .

٢ – وتحت عنوان : (مقدمات وفصول لابد منها) أورد عدة موضوعات ، منها: الأسس المنهجية لكتابه ، وذكر البحار والأنهار ، والخصائص العامة للأقاليم الجغرافية والمواضع المختلف فيها ، وغير ذلك(٧٥) .

٣ – عرض أقاليم العرب واحداً بعد الآخر : (جزيرة العرب(٧٦) ، والعراق(٧٧)، وأقور(٧٨)، والشام(٧٩) ، ومصر(٨٠) ، والمغرب(٨١) ، وبادية العرب(٨٢). وكان المقدسى يقسم الإقليم إلى ثلاثة أقسام متباينة فى أحجامها حسب توفر المادة العلمية عن كل منها ، فيدرس فى الأول مدن الإقليم ، والمواضع العامرة فيه . ويبحث الثانى فى المناخ وطوائف السكان ، ولغتهم ، والأوزان، والنقود ، والعادات ، والمياه ، والمعادن ، والأماكن المقدسة ، وأخلاق سكانه، وتاريخه السياسى والاقتصادى ، ويتناول الثالث الحديث عن المسافات ، وطرق المواصلات فى كل إقليم(٨٣) .

٢ – موارده :

فى هذه الجزئية نركز الحديث عن المصادر الواردة فى قسم (أقاليم العرب) من كتاب (أحسن التقاسيم) للمقدسى ، والتى استمد منها مادته . وقبل الولوج إلى ذكر أنواع الموارد ، التى استمد منها مادته التاريخية غالباً ، نذكر القواعد النظرية العامة التى حكمت اختياره لهذه الموارد ، ونوعياتها ، وطريقته فى الأخذ منها(٨٤) ، وهى كالآتى :

(أ) البحث والتنقيب والتحرى فى اختيار وتحديد المصادر ، التى ينقل عنها مادته.

(ب) المشاهدة ، والقناعة العقلية ، سؤال أولى الألبـاب عـن النـاس ممـن لم يعرفـوا بالغفلة والالتباس ، وسؤالهم عن الكور والأعمال فى المناطق التـى بعـد عنهـا المقدسى ، ولم يقدر على الوصول إليها (كالأندلس مثلاً) . فإذا اتفق أكـثر من مصدر سأله ، أثبت ما اتفقوا عليه ، وما اختلفوا فيه تركه ونبذه ، وما لم يكن له بد من الوصول إليه والوقوف عليه ، قصده .

(جـ) ما لم يقره قلبه ، ولم يقبله عقله ، أسنده إلى الذى ذكره ، أو قال : زعموا .

(د) الاجتهاد فى عدم ذكر شىء قد سطره أصحـاب المصنفـات قبلـه فـى ذلـك العلم ، ولا يشرح أمراً قد أوردوه وبينوه إلا عند الضرورة ؛ كى لا يبخسـهم حقوقهم ، ولا يتهم بالسرقة من تصانيفهم(٨٥) .

(هـ) يذكر المقدسى فى كتابه ما رآه ، ويحكى ما سمعه . فمـا صـح مـن الروايـات بالمعاينة وأخبار التواتر ، أرسل بـه القـول (أى : لم يذكـر مصـدره) ، ومـا شك فيه من أخبار ، أو رواه من طرق الآحاد ، أسنده إلى راويـه . ويلاحـظ أنه لم يذكر فى كتابه مصدراً إلا وهو (صدر مشهور ، أو عالم مذكور ، أو سلطان جليل) ، وباستثناء مواضع ذكر فيها موارد ، لا تندرج تحـت هـؤلاء المذكورين ؛ لضرورة ، أو لورودهم عرضاً خـلال إحـدى الروايـات . ويميـز هذا المصدر الأقل مكانة بتسميته رجلاً ذاكراً محلـه (مكانتـه) ، ليفـرق بينـه وبين جلة المذكورين .

أقسام موارده :

* لخص لنا المقدسى هذه الأقسام فى عبارة مجملـة ، جـاء فيهـا : أن مـوارد كتابه على النحو الآتى :

(أ) ما عاينه .

(ب) ما سمعه من الثقات .

(جـ) ما وجده فى الكتب المصنفة فى هذا الباب . وفى غيره . فما بقيت خزانة ملك إلا وقد لزمها ، ولا تصانيف فرقة إلا تصفحها ، ولا مذاهب قوم إلا وقد عرفها ، ولا أهل زهد إلا وقد خالطهم ، ولا مذكر وبلد إلا وشهدهم ، حتى استقام له ما ابتغى فى هذا الباب(٨٦) .

والآن ننتقل إلى الجانب التطبيقى الفعلى لمصادر المقدسى ؛ وهى على النحو الآتى :

(أ) مصادر ذكر عناوينها ، ولم يذكر أسماء مؤلفيها :

(قرأت فى أخبار المدينة)(٨٧) ، و (قرأت فى أخبار البصرة)(٨٨) ، وهو (قرأت فى كتاب الطلسمات)(٨٩) .

(ب) مصادر لم تحدد عناوينها ، ولا أسماء مؤلفيها :

(وجدت فى بعض خزائن الخلفاء)(٩٠) ، و(قرأت فى كتاب بخزانة عضد الدولة(٩١) ، و(قرأت فى بعض الكتب)(٩٢) .

(جـ) مصادر معلومة الاسم ، والمؤلف :

(وجدت فى كتاب ابن خرداذبه)(٩٣) ، و (قرأت فى كتاب ابن خرداذبه)(٩٤) ، و (ذكر قدامة بن جعفر الكاتب)(٩٥) ، وأما الدخل ، فقرأت فى كتاب (الخراج) لقدامة بن جعفر(٩٦) ، و (قرأت فى كتاب ابن الفقيه)(٩٧) .

ملاحظتان :

الأولى : هناك مصدر ، نقل عنه المقدسى ، ولم يذكر اسمه تحديداً ، واكتفى بذكر نسب المؤلف دون اسمه . ومثال ذلك قوله : (وذكر الشمشاطى)(٩٨) . فى (تاريخه)(٩٩) .

الثانية : هناك بعض المرويات المصدرة بلفظة (قال) ، لكن الرواية فيها عن أشخاص ، يستحيل على المقدسى النقل المباشر عنهم ؛ مما يدل على أنها منقولة عن مدونات مجهولة العناوين : (قال عبد الله بن عمرو(١٠٠) ، وقال قطرب(١٠١) ، وقال كعب الأحبار)(١٠٢) .

(د) مصادر شفهية :

توجد مرويات عديدة - فى كتاب المقدسى - مصدرة بألفاظ ، يغلب على الظن معها ، أنها نقلت شفاهاً . ولعلها دونت فيما بعد . وقد وردت هذه الروايات بأشكال متعددة منها :

- ما صدر بلفظة (سمعت) ، بعدها المورد مذكور :

(سمعت - يوماً - القاضى أبا الحسين القزوينى(١٠٣) ، وسمعت أبا على الحسن بن أبى بكر البناء(١٠٤) ، وسمعت عمى(١٠٥) ، وسمعت خالى عبد الله بن الشوا)(١٠٦) .

- ما صدر بلفظة (سمعت) بعدها المصدر غير مذكور تحديداً :

(سمعت بعض العثمانية(١٠٧) ، وسمعت هذه الحكاية من عدة من مشايخ الأندلس(١٠٨) ، وسمعت بعض مشايخ القيروان)(١٠٩) .

- ما صدر بلفظة (سألت) ، وبعدها مصدر غير محدد :

(وسألت بعض المصريين ببخارى عن الخراج)(١١٠) .

- وما صدر بلفظة (سألت) ، وبعدها غير محدد ، ثم سؤال أكثر من مصدر محدد :

(وسألت جماعة منهم (أى : من الروم) ، وسألت عربياً الخادم (وكان من أهل العلم والصدق) ، وذكرت قوله لأبى سعيد الجورى بـ (نيسابور)(١١١).

- روايات مصدرة بلفظة (**أخبرنا**) بعدها سلاسل إسناد كاملة ، تنتهى إلى أحاديث منسوبة إلى رسول الله ﷺ(١١٢) ، وروايات أخرى مصدرة بلفظة (**حدثنا**) بعدها سلاسل إسناد كاملة فى معظمها ، وتنتهى إلى أحاديث منسوبة إلى رسول الله ﷺ(١١٣) .

- الجمع بين مصدر شفهى غير محدد ، وآخر مكتوب غير محدد أيضاً :

(وسمعت بعض العلماء ، وقرأت فى بعض الكتب)(١١٤) .

- وأخيراً ، روايات مجهولة المورد ، مصدرة ببعض الألفاظ ، مثل:

(يزعمون(١١٥) ، وسمعتهم يزعمون(١١٦) ، و(قالوا)(١١٧) ، و(قيل)(١١٨) ، و(يقال)(١١٩) ، و(يقولون)(١٢٠) ، و(يحكى)(١٢١) ، و(حكى لى)(١٢٢) ، و (زعم)(١٢٣) ، و (حدثت)(١٢٤) ، و(حدثونا)(١٢٥).

ملاحظات على موارد المقدسى :

(أ) اتضح من النماذج المختارة السابقة تنوع المصادر ، التى استمد منها المقدسى مادته ما بين مصادر مكتوبة ، وشفهية (محددة ، وغير محددة) ، وأخرى مجهولة . وتنوعت الألفاظ المستعملة للتعبير عن النقل من تلك المصادر ، فاستخدم المقدسى (قرأت) فى *التعبير عن مطالعة المصادر المكتوبة* ، وكذلك (وجدت ، وذكر) . وفى المصادر الشفهية استخدم ألفاظاً ، مثل : سمعت ، وسألت ، وأخبرنا ، وحدثنا . وفى الموارد المجهولة استخدام عدداً من الألفاظ الدالة على الظن والتشكيك ، مثل : يزعمون ، وقيل ويقال .

(ب) بالنسبة للروايات المنقولة عن كتب جغرافيين سابقين ، فما تيسر لى الإطلاع عليه من المطبوع ، قارنت ما فيه من مادة تاريخية بما أورده المقدسى نقلاً عن

هذه الكتب . وقد تبين لى أن المقدسى كان دقيقاً فى نقله من كتاب (ابن خرداذبه) ما يتصل بعدد مدن الأندلس الأربعين(١٢٦) ، وكذلك كان دقيقاً فيما يتصل بمقادير خراج (حمص ، والأردن وفلسطين)(١٢٧) .وثبت دقته كذلك فى نقله عن (ابن خرداذبة) - أيضاً - ما يتصل بمقدار (خراج اليمن)، وإن لم يذكر المصدر الذى اعتمد عليه ابن خرداذبه فى ذلك (ووجد فى ديوان الخراج ، رفع لبعض عمال اليمن)(١٢٨) . ووقفت - أيضاً - على دقة المقدسى فى نقله عن (كتاب الخراج) لقدامة بن جعفر ، فيما يخص مقادير خراج (الحرمين واليمن ، واليمامة والبحرين ، وعمان)(١٢٩) .

وتجدر الإشارة إلى أن المقدسى كان يتصرف - أحياناً - فى نقله عن المصادر ، فهو عندما اقتبس من كتاب (ابن خرداذبه) قيمة خراج (ولاية اليمن) ، أغفل ذكر تعليق ابن خرداذبه بأن هذا هو أكثر ما ارتفع من خراج فى هذه الدولة . ثم إنه عندما ذكر (التقسيم الإدارى لليمن) ، عبر عن (الولاة) بلفظة (أعمال) ، فقال : مقسومة على ثلاثة أعمال (بدلاً من ثلاثة ولاة) . ونقل مختصراً ما قاله ابن خرداذبة ، فأسقط ذكر حجم ومنزلة ولاية من الولايات الثلاث، فقد قال ابن خرداذبه عنها ما يلى : الجند ومخاليفها (وهى أعظمها) ، وصنعاء ومخاليفها (وهى أوسطها) ، وحضر موت ومخاليفها (وهى أدناها)(١٣٠) .

وقد يبدو المقدسى مجانباً الدقة والصواب ، عندما نقل عن كتاب ابن خرداذبة أن خراج قنسرين أربعمائه ألف دينار(١٣١) ؛ لأنه بالعودة إلى كتاب ابن خرداذبه ، ألفينا هذا الرقم خاصاً بخراج قنسرين والعواصم معاً(١٣٢) . وقد ذكر ياقوت فى حديثه عن (العواصم)(١٣٣) ، أن البعض يزعم أن (حلب) ليست منها ، والبعض يزعم أنها منها ، ثم استحسن دليل من قال : إن حلب ليست من أعمال (العواصم) أنهم اتفقوا على أنها من أعمال (قنسرين) وهم يقولون : قنسرين

والعواصم ، والشيء لا يعطف على نفسه(١٣٤) . فتكون (قنسرين) شيئاً، و (العواصم) شيئاً آخر ، ويكون المقدسى غير دقيق فيما ذكر . إلا أنه يمكن الرد على ذلك بما ذكره ياقوت نفسه بعد ذلك فى التعريف بـ (قنسرين)(١٣٥) ، لما قال : وبعض يدخل قنسرين فى العواصم(١٣٦) . فلعل المقدسى من هؤلاء ، فيكون ما نقله عن خراج قنسرين معبراً عن خراجها وخراج العواصم معا ، فيسلم بذلك من المؤاخذة .

وثمة جزئية أخيرة يمكن أن تؤخذ على (المقدسى) بهذا الصدد ، وتتعلق بمقدار دخل مصر ، حيث نقل عن (قدامة) أن هذا الدخل بلغ من العين ألفى ألف وخمسمائة ألف دينار . وبالعودة إلى كتاب (قدامة) وجدت أن هذا الرقم يختص بـ (مصر ، والإسكندرية) معا(١٣٧) . والراجح أن المقصود بـ (مصر) مدينة الفسطاط العاصمة الإسلامية لمصر . أما الإسكندرية ، فهى العاصمة القديمة قبل دخول الإسلام مصر ، وكانت تعامل معاملة خاصة فى ظل النظام الإدارى بعد الفتح الإسلامى ، فهى مدينة بارزة من مدن الوجه البحرى ، ولها وال يحكمها ، ودخل تختص به ، بخلاف دخل العاصمة (الفسطاط)(١٣٨) .

(جـ) كان المقدسى دقيقاً فى استخدام الألفاظ ، التى تصدر بها روايات كتابه ، فالمرويات التى لا يستطيع التحقق من صحتها يستخدم معها ما يدل على ميل إلى عدم الاقتناع بمضمونها ، مثل : يقولون(١٣٩) ، ويزعمون(١٤٠) .

(د) حرصه على ذكر الأسانيد الكاملة للمرويات الحديثة ، وإن لم يتعرض لها بتحديد مدى صحتها من عدمه . وفى الوقت نفسه أتى فى إحدى الروايات ، التى تغلب عليها الأسطورة والخرافة بالإسناد الكامل(١٤١) . وأحياناً كان يروى عن مصدر له صلة غير واضحة بموضوع الرواية(١٤٢) ، وأحياناً يسأل أهل الاختصاص(١٤٣) . ويكرر السؤال نفسه لدى أكثر من مصدر ، واصفاً أحدها بأنه من أهل العلم والصدق(١٤٤) ، وكل ذلك لمزيد من التدقيق والتثبت .

(هـ) وأخيراً ، فإن هذا القسم الخاص بـ (أقاليم العرب)من كتاب (أحسن التقاسيم) به كثير من المعلومات والروايات ، التى لم يذكر المقدسى لها مصدراً ، وهى من الكثرة بحيث يصعب حصرها . ويغلب على الظن أنها من المواضع التى اتفق عليها ، وصحت للمقدسى بالمعاينة والتواتر (على نحو ما ذكر فى منهجه فى ذكر الموارد سابقاً) . وهذا يعنى أن كثيراً من مرويات المقدسى قائمة على (المشاهدة والمعاينة) ، وهى ناتجة - ولا شك - عن الرحلات الطويلة التى قام بها لأقاليم الإسلام(١٤٥) .وجولانه فى البلاد(١٤٦) ، وكثرة أسفاره فى البحار والمحيطات(١٤٧) . وهكذا ، فإن المشاهدة تأتى فى المقام الأول بين موارده(١٤٨) . وما لم يطالعه بنفسه ، اعتمد فى معرفته على المصادر المكتوبة ، سؤال أهل العلم(١٤٩) .

٣ - منهجه :

قبل الحديث عن عناصر المنهج التطبيقى ، الذى سلكه المقدسى فى عرض قسم (أقاليم العرب) من كتابه ، نضع أيدينا - أولاً - على الأسس والقواعد النظرية التى أتبعها المقدسى قبل وعند وضع كتابه ، وهى كما يلى :

أولاً : دوافع التأليف : هناك دافع عام رغب المقدسى فى تأليف كتابه ، يشاركه فيه عامة العلماء(١٥٠) ، ودافع خاص يتعلق بالمقدسى . لقد نظر فى العلوم عامة ، فوجد أن الأمور تسير على هذا النحو : علماء لهم قدم السبق والريادة ، يقومون بالتأليف فى البداية ، ثم يأتى آخرون بعدهم ، فينظرون فى مؤلفات الأولين ، فإما أن يشرحوها ، أو يختصروها أما هو ،فرأى أن يكتب فى علم قد أغفلوه ، وينفرد بفن لم يذكروه إلا وعليهم فيه مآخذ ؛ إذ عالجوا بإخلال . فرأى هو أن يذكر الأقاليم الإسلامية ذكراً شاملاً متكاملاً ، يصف طبيعة الإقليم الجغرافية ، ويصف مدنه المشهورة ، ويذكر الطرق الموصلة إليه ، مع بيان ما فيه من أنشطة بشرية صناعية وتجارية وغيرها ، مع التعرض للغة أهل

الإقليم ، وأشكالهم ، وأزيائهم ، ومطاعمهم وشرابهم، وصادراتهم وارداتهم ، ومكاييلهم وأوزانهم ، ونقودهم ، ومذاهبهم ، وغيرها(١٥١) .

ثانياً : مطالعة الكتب السابقة عليه فى هذا العلم ، وقراءتها قراءة نقدية . وانتهى - بعد ذلك - إلى اقتناع بأن هؤلاء الذين تقدموه ، جاءت مصنفاتهم مختلة ، واعتمدوا فيها على السماع(١٥٢) . فالجيهانى(١٥٣) صاحب معرفة بالفلسفة والنجوم والفلك . قام بالاعتماد على سؤال الغرباء عن ممالكهم ، ودخلها ، وكيفية الوصول إليها (فلم يعتمد على الرحلة إلى تلك الأقطار) .ومما أخذه عليه المقدسى أنه اهتم بذكر منازل مجهولة ، ومراحل مهجورة ، ولم يفصل ذكر الكور ، ولم يرتب أجنادها ، ولم يصف مدنها ، ولا استوعب ذكرها . وكذلك انتقده المقدسى بالإطالة فى الكتاب ؛ نتيجة شرح ما فى الطرق من سهول وجبال ، وأودية ، وتلال ، وأنهار ، ثم أغفل أكثر طرق الأجناد(١٥٤) .

* وطالع المقدسى كتاب (أبى زيد البلخى) ، وعاب عليه تركه كثيراً من أمهات المدن ، وعدم الارتحال إلى البلدان والأعمال .

* وأخذ على ابن الفقيه الهمدانى عدم ذكره إلا المدن العظمى ، وعدم ترتيبه الكور والأجناد ، وإدخاله فى كتابه علوماً ، لا علاقة له بها (زهد فى الدنيا ورغبة فيها وحكايات مبكية وأخرى ملهية مضحكة) .

* وأما كتاباً الجاحظ ، وابن خرداذبه ، فذكر أنهما مختصران جداً ، ولا يحصل منهما كثير فائدة(١٥٥) .

* ولا شك فى أن المقدسى حاد فى نقده ، لكنى لا استطيع القطع بانه كان ناقداً متعسفاً - أحياناً - على السابقين فى هذا المجال(١٥٦) . لأن بعض الكتب التى ذكرها فى حكم المفقودة .

ثالثاً : القيام بزيارات ميدانية ، ورحلات شخصية مطولة ؛ لجمع مادة كتابه بنفسه عن طريق المشاهدة والمعاينة ، ومخالطة الناس والعلماء فى البلاد المختلفة التى

زارها وحضور مجالس علمائها ، وعقد صلات مع بعض الحكام ، وتصفح خزائن الكتب ومطالعة الدفاتر والخرائط(١٥٧) .

رابعاً : أثناء كتابة المقدسى مصنفة راعى تجنب الكذب والطغيان (مجاوزة الحدود والمبالغة) ، والتحرز بالحجج (الإتيان بالأدلة) من الطعان (الطعن والنقد)، فلم يودعه المجاز والمحال (الخيالات ، والمستحيلات) ، ولم يسمع إلا قول الثقات من الرجال(١٥٨) .

خامساً : وأخيراً التأنى والمراجعة قبل إخراج الكتاب : ذكر المقدسى أنه حرص على استشارة الأئمة والعلماء قبل إخراجه إلى الناس ، فكل أشار به وقبله ، وبعث على إحضاره ومدحه(١٥٩) .

العناصر الإيجابية فى منهج المقدسى التطبيقى :

أولاً : توضيح مفاهيم مختصراته ، ومصطلحاته ، وجغرافية أقاليمه :

* قبل أن يدخل المقدسى فى صلب كتابه ، أوضح مفاهيم عدد من الألفاظ المختصرة التى يستخدمها ، فقال : لا نظير له تعنى : ليس مثل بتة . فإن قال : غاية ، فإنها تعنى : غاية فى الجودة . وإن قال : جيد ، فقد يوجد أجود منه(١٦٠) .

* وقد يجمل المقدسى القول ، ويدع شرحه إلى حينه ، مثل قوله : ﴿ ولا أعز من أهل بيت المقدس ﴾(١٦١) .

ومن مصطلحات المقدسى التى شرح مقصوده منها ما يلى :

البلد : وتشمل – عنده – المصر ، والقصب ، والرستاق ، والكورة ، والناحية .

* عند ذكر قصبة فى كورتها ، يذكرها باسمها (مثل : الفسطاط) ، فإذا أوردها فى موضع آخر ، جعلها باسمها المعروف عند الناس ، فيقول : (مصر) .

المشرق : دولة آل سامان . فإن قال : الشرق ، فإنه يعنى كرمان ، وفارس، والسند أيضاً .

المغـرب : هـو الإقليـم المعروف . فإن قـال : الغـرب ، ضم إليه (مصر ، والشام)(١٦٢) .

* وأخيراً ، فإن المقدسى لم يكتف بكل هذه التوضيحات ، وإنما ابتكر لونـاً جديداً من التوضيح ، تمثل فى رسـم خرائـط ملونـة لأقـاليم كتابـه ، فكـان يرسـم حدودها وخططهـا ، ويميز طرقهـا المعروفـة بـالحمرة ، ويشـير إلى رمالهـا الذهبيـة باللون الأصفر ، ويجعل بحارها المالحة باللون الأخضـر ، وأنهارهـا المعروفـة بـاللون الأزرق ، وجبالها المشهورة بالغبرة . وقد لجأ الرجل إلى ذلـك ؛ لتقريـب الوصـف إلى الأفهام ؛ كى يقف عليه الخاص والعام(١٦٣) . وللأسف ، فـإن هـذه الخرائـط الملونة لم تصل إلينا فى النسخة التى بين أيدينا ، ويبدو أنها سقطت من مخطوطـات الكتاب ، لكن عبارات المقدسى تشير إلى وجودها فى كتابه(١٦٤) .

ثانياً : الدقة فى توزيع مادة كتابه :

نلمح تلك الجزئية المنهجية من خلال قراءة كتاب المقدسى ، حيـث لا نجـد تداخلاً بين معلومـات الأقـاليم المختلفـة . فـالرجل يحسـن توزيـع مادتـه العلميـة ، ويضعها فى مكانها اللائق بها . فمثلاً : عند تناوله (ذكر المذاهب ، وأهل الذمـة) فى فصوله الموجودة بـ (مقدمات كتابه) ، قال : واخترت مـن المذاهـب مذهـب أبى حنيفة (رحمة الله) ؛ للخلال التى ذكرها فى (إقليم العراق)(١٦٥) . وعنـد إشارته إلى أتباع المذاهب الكبرى ، قال : قد بينت ذلك فى شرح الأقاليم من هـذا الكتاب(١٦٦) . وعندما تناول القراءات ، قال : ومن الحروف مقرأ (أبى عمـران عبد الله بن عامر اليحصبى) ؛ للمعانى التى أصفها فى إقليم (أقور)(١٦٧).

ثالثاً : وضوح شخصيته فى كتابه :

هذه جزئية مهمة فى الوقوف على عقل وفكر المقدسى ، ودرجة تفاعله مع المعلومات التى يكتبها ، من حيث القدرة على التعليـل ، والاسـتدلال ، والتعليـق، والنقاش العقلى المدعوم بالأدلة والبراهين . ولا شك فـى أن عنـاصر ثقافـة الرجـل

الموسوعية تفاعلت معاً ، حتى أفرزت لنا تلك الشخصية الحاضرة المتوقدة فهماً وذكاء ، حتى قال عنه كراتشكوفسكى : تمتع المقدسى بشخصية واضحة للعيان ، حتى من خلال مقدماته ومداخله المطولة بعض الشىء ، إلا أنها لا تخلو من الأصالة عند المقارنة بسابقيه(١٦٨) .

١ – **التعليل** : وقد اتخذ أشكالاً وأنماطاً ، منها : تعليل فى منهج التناول ، فكثيرا ما يعلل طريقته فى عرض كتابه ، فقد حرص أن يودعه شيئاً من الغوامض والمعانى ؛ ليجل (يعظم قدره) ، ويقل (أى : المتهاونون بشأنه) ، وأورد فيه الحجج توثقاً (زيادة فى التوثيق) ، والحكايات تحققاً (أى : من صدق ما يورد)، والسجع تظرفاً (درءاً للسآمة) ، والأخبار تبركاً . وبسط أكثره ؛ ليقف عليه العوام إذا تأملوه . وأوضح الطرق ؛ لأن الحاجة إليها أشد ، وصور الأقاليم ؛ لأن المعرفة بها أروج ، وفصل الكور ؛ لأن ذلك أصوب(١٦٩) .

وتنوعت تعليلات المقدسى بين التوسط والإيجاز . ومن النوع الأول ما ورد عن تخصيص باب مستقل لـ (بادية الشام) ؛ بأن أحداً من أهل الأقاليم لا طريق له إلى مكة فى البر إلا فيها ، ولا غنى عن معرفتها ، كما أن بها طرقاً ومياها قد تجهل ولا تعرف وبها فوائد لا تحصى(١٧٠) . وكذلك تعليله بدءه عرض (أقاليم العرب) بـ (إقليم جزيرة العرب) ؛ لما يتمتع به من وجود بيت الله الحرام ، والمدينة المنورة ، ومقر الخلفاء الراشدين ، والمهاجرين والأنصار ... إلخ(١٧١) .

ومن التعليلات الوجيزة ما قاله عن سبب تركه التعريف بـ (طرسوس ، وأعمالها) ؛ لأنها بيد الروم(١٧٢) . وأيضاً تركه ذكر بعض مدن الإسلام فى الأندلس غالباً ؛ لجهله إياها(١٧٣) . وإعجابه بالبصرة أكثر من بغداد ؛ لرفقها ، وكثرة الصالحين بها(١٧٤) . وسر تسمية (واسط) ، التى اختطها الحجاج ؛ لأنها بين قصبات العراق والأهواز(١٧٥) .

٢ - **الاستدلال** : دلل المقدسى على انقاص (سعيد بن العاصى) مقدار الصاع ، الذى قرره عمر بن الخطاب فى إقليم (شبه جزيرة العرب) بحضور الصحابة، وبه كان يكفر الإيمان ، فهبط به سعيد من (ثمانية أرطال) إلى (٥ ١/٣) من الأرطال . وقد استدل على بحمل عمل سعيد هذا - معتمداً على ثقافته الأدبية - بقول الراجز :

وجاءنـــا بجوعـــا سعيـــد ينقص فى الصاع ولا يزيـد(١٧٦)

٣ - النقاش العقلى المدعوم بالأدلة والبراهين المطولة نوعاً ما :

هذا الملمح المهم إن هو إلا إنعكاس واضح لثقافة المقدسى الفقهية ، وذكائه وتوقد ذهنه ، وكثرة مطالعاته ، ومشاهداته مجالس الفقهاء والعلماء ، وما يدور به من مناظرات ومناقشات . ومن أمثلة ذلك :

(أ) استدلاله على تسمية (إقليم العراق) بهذا الاسم بشيوع تلك التسمية، وعدم معرفة الناس تسمية (إقليم بابل) ، وهو متمسك بتلك التسمية ؛ لأنه يرى كتابه على المعروف المشهور . ثم قال : بالضبط كمن حلف على ألا يأكل رءوساً ، فأكل من رءوس البقر والغنم ، فإنه يحنث على رأى أبى حنيفة ، خلافاً لما قاله الفقيهان الحنفيان (أبو يوسف ومحمد) . وقد شرح بعض الأئمة من مشايخ القدس ذلك بأنه لا خلاف ، فقد كانت تؤكل الرءوس وتباع زمن أبى حنيفة ، ثم زالت تلك العادة زمان أبى يوسف ومحمد . وأيضاً استدل على تسمية (إقليم العراق) بهذا الاسم ، دون (إقليم بابل) بقول أبى بكر لعمر ، عندما سأله إرسال جيوش إلى العراق ،/ فبين له أبو بكر أن فتح شبر من الأرض المقدسة (الشام) أحب إليه من رستاق من رساتيق العراق . قال المقدسى : ولم يقل : (من رساتيق بابل) . ويواصل المقدسى نقاشه ، فيحشد مزيداً من البراهين ، فيقول: وأما ما جاء فى آية : « وما أنزل على الملكين ببابل »(١٧٧) ، فيجوز أن يتناول ذلك الإقليم والمدينة جميعاً ، ووقوعه على المدينة مجمع عليه ، لكن إطلاق اسم (بابل) على (الإقليم) مختلف فيه ، فمن أطلقه على الإقليم ككل ، فعليه وجب الدليل(١٧٨) .

(ب) الأدلة الكثيرة التى ساقها المقدسى ؛ دفاعاً عن إتباعه مذهب أبى حنيفة الفقهى ، والتى منها : اعتماد ذلك المذهب على أقوال وفتاوى الإمام على ﷺ ، وقدم ذلك المذهب ، واقترابه من عهد الصحابة ، وصوابه عما سواه من المذاهب الفقهية الأخرى . ولا حجة لمن طعن على أبى حنيفة ومذهبه ، فقد سبق أن طعن الطاعنون على الخلفاء الراشدين(١٧٩) .

٤ – التعليق :

اتخذ تعليق المقدسى على بعض الأخبار الواردة فى كتابه عدة صور على النحو الآتى :

(أ) **تعليق على فضائل الأمصار** : دخل عبد الرحمن بن أخى الأصمعى على الجاحظ ، فقال : افدنى فى البلدان فائدة . فذكر له ميزات عشرة أمصار ، ومن ذلك قوله : (الصنعة بالبصرة ، والمروءة ببغداد ، والتجارة بمصر) .

فعلق المقدسى : وقد صدق لعمرى . ثم استدرك قائلاً : إلا أن بنيسابور – أيضاً – صناعاً حذاقاً ، وبالبصرة تجارات ، وبمكة فصاحة ، وبيت المقدس حسنة البناء ... إلخ(١٨٠) .

(ب) **تعليق على رواية بها معلومة اقتصادية** : لقد تساءل المقدسى دهشاً ، لما قرأ عند ابن خرداذبه أن خراج اليمن ستمائة ألف دينار ، إذ قال : فلا أدرى ما أراد بذلك ، و لم أر ذلك فى كتاب (الخراج) ، بل المعروف أن جزيرة العرب عشرية(١٨١) . وهذا يعنى أنه مر فى تعليقه – أولاً : بمحاولة تفهم النص الاقتصادى الوارد ، ثم شكك فى صحته ؛ لعدم مطالعته إياه فى كتاب (الخراج)، الذى أرجح أنه كتاب (قدامة بن جعفر) ؛ لاحتوائه على قوائم الخراج فى أقاليم الدولة الإسلامية ، ثم بين أن الغالب عدم تصديق النص ؛ لأن أرض الجزيرة يؤخذ من أهلها الزكاة ؛ إذ لا يجتمع فى جزيرة العرب دينان . فكأن المقدسى يتحفظ على النص ، ويميل إلى رفضه بطريقة غير مباشرة .

(جـ) تعليق على نص به معلومة عن إحدى الفرق المنحرفة : قرأ المقدسى فى كتاب صنفه بعض مشايخ الكرامية بنيسابور : أن بالمغرب سبعمائه خانقاه (رباط الصوفية) لهم . فعلق قائلاً : لا ، والله ولا واحدة(١٨٢) .

(د) تعليق فقهى على حادثة تاريخية : ذكر المقدسى أن المنصور العباسى لما حج ، رأى ضيق المسجد الحرام هناك فأراد شراء ما حوله من الدور ، وزيادتها فيه مع تفخيمه ، فعرض على اصحاب الدور أموالاً جمة ، لكن رفضوا البيع . وقد علم أبو حنيفة بحيرة الخليفة ، ولم يكن اشتهر فقهه بعد ، فلقى المنصور وعرض عليه أن يسأل هؤلاء الناس : هل الكعبة نزلت عليهم أم العكس ؟ فلما ذكروا أنهم حلوا بها ، قال : ردوا فناءها ، فقد كثر زوارها ، واحتاجت إليه . فرضى الناس بالبيع . ثم علق المقدسى قائلاً : وهذه الحكاية تقوى إحدى الروايتين عن أبى حنيفة فى كراهية بيع دور مكة وأخذ أجورها ، إلا على تأويل(١٨٣) .

٥ – آراء نقدية يبديها :

(أ) رأيه فى سر رخاء العراق : قال المقدسى : (واعلم أن العراق ليس ببلد رخاء ولكن جل وعمر بهذين النهرين ، وما يحمل فيهما ، وببحر الصين المجاور له(١٨٤) . فهو يضع يده على عوامل ثراء ورخاء العراق عن طريق ما حباه (الله عز وجل) من عوامل الخصب والرخاء والتجارة (وجود نهرى دجلة ، والفرات ، والمحيط الهندى) .

(ب) رفضه اتهام الأمويين بالجبن أمام أعدائهم : حيث ذكر أبياتاً لمن يهجو الأمويين فعلق على واحد منها يقول :

أسد على الجيران أعداؤهم آمنة تخطر فى دارهم .

علق المقدسى قائلاً : وكذب فى هذا البيت ؛ لأن الأعداء – أبداً – يخافونهم(١٨٥) .

(جـ) نقده كثرة إنفاق الوليد بن عبد لملك على بناء جامع دمشق ، إذ قال لعمه يوماً : يا عم ، لم يحسن الوليد ، حيث أنفق أموال المسلمين على جامع دمشق، ولو أنفق ذلك فى عمارة الطرق والمصانع ، وترميم الحصون ، لكان أصوب وأفضل . فرد عمه عليه قائلاً : لقد وفق الوليد فيما فعل ؛ لأنه رأى الشام بها النصارى ، ولهم فيها بيع حسنة مزخرفة انتشر ذكرها ، مثل : كنيسة القيامة ، وبيعة الرها . فأراد أن يشغل المسلمين عن ذلك بالمسجد ، وجعله أحد عجائب الدنيا . وقد فعل والده (عبد الملك بن مروان) ذلك ، لما رأى عظم قبة القمامة ، فخشى أن تعظم فى قلوب المسلمين ، فنصب على الصخرة قبة(١٨٦) .

٦ – القدرة على الاختيار والترجيح :

(أ) من المواضع إلى برزت للمقدسى فيها هذه القدرة ذكره خبراً مرفوعاً إلى النبى ﷺ عند حديثه العام عن المذاهب فى (أقاليم العرب) - فيه أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ؛ اثنتين وسبعين فى الجنة ، وواحدة فى النار . وذكر أن بقية الأئمة يحتجون بخبر آخر فيه (اثنتان وسبعون فى النار ، وواحدة ناجية)(١٨٧) . فالمصيب من وافق الحق ، وهم صنف واحد . ثم قال المقدسى : وهذا أشهر إلا أن الأول أصح إسناداً ، والله أعلم . فإن صح الأول ، فالهالكة هم الباطنية ، وإن صح الثانى فالناجية السواد الأعظم(١٨٨) .

(ب) وثمة نموذج آخر : جعل المقدسى الأمصار - فى كتابه - كالملوك ، والقصبات كالحجاب ، والمدن كالجند ، والقرى كالرجالة . ثم أراد تعريف الـ (مصر) ، فذكر قول الفقهاء : هو كل بلد جامع يقام فيه الحدود (مثل : نابلس). وبه أمير لإدارته ، يجمع ضرائبه ، وينفق عليه . ثم ذكر تعريف فى اللغة : هو كل ما حجز بين جهتين (مثل : البصرة ، والرقة) . **ثم أورد تعريفه لدى العوام** : كل بلد كبير جليل (مثل : الرى والموصل ، والرملة) . **ثم اختار لنفسه تعريفاً ، قال فيه** : وأما نحن فجعلنا الـ (مصر) كل بلد حله السلطان الأعظم ، وجمعت

له الدواوين ، وقلدت منه الأعمال ، وأضيفت إليه مدن الإقليم (مثل : دمشق ، والقيروان)(١٨٩) .

العناصر السلبية فى منهج المقدسى التطبيقى :

(أ) التكرار ، وضعف التنسيق والترابط :

رغم إحكام المقدسى تنظيم مادته ، وإحسانه توزيعها على أماكنها المناسبة، إلا أنه وقع - أحياناً - فى خطأ التكرار ، الذى أفضى إلى الإحساس بضعف التنسيق والترابط والتسلسل فى عرض مادته . ومن أمثلة ذلك : تكراره الحديث عن أهداف تأليف كتابه فى أكثر من موضع(١٩٠) .، رغم أن ذلك يكتفى بذكره فى المقدمة فحسب ، وكذلك تكراره ذكر منهجه النظرى الذى ارتضاه لنفسه عند جمع مادته من مصادرها ، والذى سيسير عليه فى تأليف كتابه(١٩١) ، وأخيراً تكراره نقد كتب السابقين عليه فى مجال التصنيف الجغرافى(١٩٢) .

(ب) التطويل ، والاستطراد :

على الرغم من توخى المقدسى الإيجاز فى كتابه ، ونصه على ذلك فى بعض المواطن وخوفه الإطالة ؛ كراهية الملال(١٩٣) ، إلا أنه حتى فى بعض المواضع التى توقف فيها عن مواصلة السرد ، فعل ذلك بعد أن أطال إلى حدما فعلاً(١٩٤) . وبالإضافة إلى ما تقدم ، فإن المقدسى أطال بعض الشىء فى محتويات (مقدمات كتابه)(١٩٥) . رغم أهميتها إلا أنه كان يمكنه تجميعها وتركيزها ، وعرضها على نحو مختصر منظم . ويلاحظ أنه بينما نجد الإطالة فى بعض المواضع ، فإننا نشكو ندرة وشحاً فى ذكر الشخصيات العلمية المنسوبة إلى بعض الأقاليم الجغرافية . والتعريف الوافى بها(١٩٦) ؛ مما دفع أحد الجغرافيين اللاحقين لسد هذا النقص فيما بعد ، ألا وهو (ياقوت الحموى) فى كتابه (معجم البلدان) .

وبالنسبة للاستطراد فأرى أن سيل المعلومات الفقهية لدى المقدسى دفعه للوقوع - أحياناً فى عيب (الاستطراد) . ونلحظ ذلك عند الحديث عن

(الجحفة) ميقات أهل الشام فقد استطرد فى ذكر بقية مواقيت أهل الأمصار الأخرى ، وذكر الروايات الواردة فى ذلك . ثم انتهز الفرصة ، فاستطرد متحدثاً عن مناسك الحج (فرائض ، وواجبات ، وسننا) . وبعد أن استطرد ، آب إلى نفسه قائلاً : نرجع - الآن - إلى وصف مدائن هذه الكورة ونواحيها(١٩٧) . (يقصد كورة الحجاز) ؛ لأنه قسم شبه الجزيرة إلى اربع كور : الحجاز ، واليمن، وعمان ، وهجر)(١٩٨) . وكذلك أفاض - قبل ذلك الموضع بعض الشىء - فى ذكر مدن كور إقليم (شبه الجزيرة) ، ثم قال : الآن نرجع إلى وصف ما أمكن من بلدان الكور ، وندع ما لا فائدة فيه(١٩٩) .

(جـ) مجانبة الحياد والموضوعية ، والوقوع فى التناقض والغموض :

مما يحسب للمقدسى فى كتابه أنه أعطانا صورة شاملة متكاملة فى دراسة جيدة متميزة لأقاليم العرب ؛ إلا أنه جانبه التوفيق ، وتجاوز الحياد الواجب ، وظهر منه شىء من التحيز نحو العلماء عامة والفقهاء منهم خاصة . وخير مثال على ذلك قوله : (وكل ما نذكر من عيوب أهل البلدن فأهل العلم والأدب عنه بمعزل ، خاصة الفقهاء ؛ لأنى رأيت الفضل فيهم)(٢٠٠) . وواضح أن الرجل - هنا - يلجأ إلى تعميم الأحكام ، وهذا يبعده عن الموضوعية ؛ إذ إن لكل قاعدة شواذ ، فلا نستطيع تبرئه كل المنتسبين إلى العلم والفقه من العيوب والمذمات . وكذلك يؤخذ عليه كثرة استخدام صيغة (أفعل التفضيل) فى مجال المدح(٢٠١) ، واستخدامها بعيداً عن التفصيل - فى مجال الذم(٢٠٢) ، مما كان الأولى الاحتراز منه . وثمة نماذج أخرى : نأى الرجل فيها عن (الموضوعية) ، وذلك عندما خصص فقرة تقريباً عن عجائب كل إقليم شرح لنا جغرافيته . يلاحظ أنه لم يذكر أسانيد بعض تلك المرويات المتصلة بهذه العجائب ؛ اعتماداً على اشتهارها وذيوع الحديث عنها فى الأقاليم التى زارها . وبالنظر إلى مجموع هذه العجائب نجدها كثيرة ، وكنا نود أن يتحقق من مدى صدقها ، وألا يترك واحدة منها غفلاً من التعليق . ومن تلك العجائب ما ورد فى (إقليم أقور) عن دير الكلب الموجود

بأرض الموصل ، حيث يحمل إليه من عضه كلب عقور ، فيقيم خمسين يوماً عند رهبانه ، فيبرأ ، بإذن الله تعالى(٢٠٣) . وكذلك عين الماء التى من شرب منها مات بعد ثلاثة أيام(٢٠٤) . وأيضاً منارة الإسكندرية التى يقال : إنها من عمل الأنبياء ، وكان الناظر فيها يبصر مراكب العدو ، فيخبر أمير البلد بذلك ، ثم احتال الروم ، فذهبوا بها ، أو كسروها(٢٠٥) .

ويعلق د. حسين مؤنس(٢٠٦) على ورود تلك العجائب ، وأخبار المستبعدات وأوصافها فى الكتب ، بأن ذلك راجع إلى ولع أصحابها آنذاك بذكرها ، وسذاجة فى تصوراتهم ؛ إذ يسارعون فى تصديق ما يسمعون ، ويبالغون فى تصوير ما يجاوز المعقول ، رغم أنهم لدينا من أهل الثقة والصدق ، ويؤكدون أنهم رأوا وشاهدوا ما يصفون . وذلك كله نابع من إحساس غير صادق ولا دقيق لديهم ؛ رغبة فى تشويق السامعين ، ولفت انتباه المتلقين عن نيه حسنة ورغبة ساذجة فى المتعة والتسلية . والحق أن ذلك التفسير عام ، ويغلب على ظنى أنه لا ينطبق على المقدسى تمام الانطباق ، فلم يكن الرجل بمثل هذه السذاجة ، ثم إنه ينقل لنا ما شاع وذاع فى البلد الذى يتحدث عنه ، أو ما طالعه فى بعض الكتب ذاكراً رأيه أحياناً بالموافقة(٢٠٧) ، أو المخالفة(٢٠٨) . وأخيراً فإننى أرى أن هناك حلقة مفقودة فى مثل روايات العجائب السابقة ، فمثلاً : من عضه كلب عقور ، لعل ذهابه إلى هذا الدير كان للاستشفاء على يد بعض الرهبان الأطباء طيلة الفترة المذكورة . وقد يكون الماء الذى يموت منه شاربه مسموماً ، أودى بحياة بعض شاربيه بعد فترة قصيرة ، فشاع بين الناس خبره . وقد تكون منارة الإسكندرية اخترعت وفق نظام هندسى معين - والإسكندرية مشهورة بعلمائها منذ القديم - بحيث تؤدى الغرض الدفاعى منها . إذا هناك تفسيرات لم ينقب المصنفون عنها ، مكتفين بما سمعوا ، أو قرأوا ، ولعلهم لو دققوا البحث ، واستقصوا الظاهرة ، لتوصلوا إلى نتائج طيبة .

وأخيراً ، فإن المقدسى كان - أحياناً - يأتى بالشىء ، ثم يذكر نقيضه بعد قليل ، فيوقعنا بين أمرين : إما أننا لم نفهم مراده حق الفهم ، فتتهم أنفسنا

بالقصور ونتهمه بالغموض ، وإما أنه لم ينقح هذا الجـزء جيـداً ، فـأتى علـى هـذا النحو من التضارب والتناقض (كما هو الحال فى حديثه عـن أهـل حمـص(٢٠٩) ، وبلدة بيت المقدس)(٢١٠) .

٤ – المادة التاريخية : عرض ، وتحليل :

أحـاول – خـلال الصفحـات التاليـة – رصـد المـادة التاريخيـة التقليديـة (الأحـداث السياسية خاصة) ، التى أوردها فى القسم الأول من كتابـه : (أحسن التقاسيم) ، فـأقوم بعرضها ، والتعليق على ما يتيسر لى منها . ثم بعدها أذكـر مجمـل المـادة التاريخيـة غـير التقليدية الموجودة فى القسم نفسه (بجوانبها الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، إلى جانب ملمح من ملامح العلاقات الدولية) ، باعتبارها مادة جديدة وغزيـرة ، يصعـب رصد كافة جزئياتها ، أو الحكم عليهـا ، وإنمـا نثبـت بهـا مـع سـابقتها . أن (أحسـن التقاسيم) – فى شقه الأول – يعد – بحق – مصدراً من مصـادر (تـاريخ العـرب) ؛ إذ يجد فيه الباحثون مادة جديدة فى مصـدر غـير تقليـدى (جغرافـى فـى الأسـاس) ، تعينهم على كتابة تواريخ أقاليم العرب بصورة شاملة متكاملة ما أمكن ، وتسـد بعـض النقص فى مصادر التاريخ المعروفة .

أولاً : المادة التاريخية التقليدية :

(أ) حادثة ضرب الحجاج الكعبة بالمنجنيق : ساق المقدسى ذلك الحدث، وهـو يتحدث عن (إقليم شبه الجزيرة) ، وبالتحديد عند تناوله (مكة) ، وأشـار إلى إدخال ابن الزبير – قبلها – عشرة من مشايخ الصحابة ، حتى سمعـوا مـن عائشة ما روته عن الرسول ، مـن أن (الحجـر) جـزء مـن (البيـت) ، وأن قريشاً لم تدخله فى بنائه ؛ لقصور النفقة عـن ذلـك ، وأن الرسـول ﷺ كـان يرغب فى إعادة بناء الكعبة ، وإدخال الحجـر فيهـا لـولا أنهـم حديثـو عهـد بالجاهلية . ومن هنـا فـإن ابـن الزبـير أصـر علـى تنفيـذ مـا كـان يتطلـع إليـه الرسول، وقد اجتمع الناس وخشوا عاقبة الإقدام على ذلك ؛ خشـية أن يحـل

بهم العذاب ، لكن أبن الزبير أعاد بناءها على ما حكت عائشة ، وكـان فـى ذلك الخير وسكن الناس .

فلما قدم الحجاج ، تحصن ابن الزبير بالكعبة ، فأمر الحجـاج بوضـع المنجنيـق على (جبل أبى قبيس) بمكة ، وقال : أرموا الزيادة التى ابتدعها هذا ، فرموا موضع الحطيم ، وتم إخراج ابن الزبير بعـد قتله ، فصلـب . وأعـاد الحجـاج الحائط ، كما كان قديماً ، وأخذ بقية الأحجـار ، فسـد بهـا البـاب الغربـى ، ورصف بقيتها فى البيت ؛ كى لا تضيع(٢١١) .

(ب) فى حديثه عن (المدينة) ذكر (جبل أحد) ، وبين أن به موضعاً ، اختبأ فيه النبى ﷺ ، باعتباره أقرب الجبال إلى المدينة(٢١٢) .

(جـ) فى (إقليم شبه الجزيرة) ، وعند تناوله مدينة (صحـار) ، قـال المقدسـى : هى قصبة عمان . ثم قـال : بهـا مسـجد صحـار علـى نصـف فرسـخ . ثـم (هناك) بركت ناقة الرسول وقد بنى المسجد أحسن بناء(٢١٣) .

(د) الأحساء : قصبة هجر (البحرين) . بها مستقر القرامطة من آل أبى سعيد. ثم نظر وعدل ، غير أن الجامع معطل . وبالقرب خزانـة المهـدى ، وخزائـن أخرى أيضاً ، فبعض الأموال بتلك ، بوقيته فى خزائنهم(٢١٤) .

(هـ) أهم حكام شبه الجزيرة : هى أبداً لصاحب مصـر ، لأجـل المـيرة . واليمـن . لآل زياد ، وأصلهم من (همدان) . وعلى صنعاء أمير غير أن ابن زياد يحمل إليه أموالاً ؛ ليخطب له . وربما أخرجت عدن عن ايديهم . وآل قحطان فـى (الجبال) ، وهم أقدم ملوك اليمن . والعلوية علـى (صعـدة) يخطبـون لآل زيـاد . وعمـان للديلـم ، وهجـر للقرامطـة ، وعلـى (الأحقـاف) أمـير منهم(٢١٥) .

(و) فى إقليم العراق : قال المقدسى : هـى مسـتقر خلفـاء ولـد العبـاس ، وظـل الأمـر أمرهـم حتـى ضعفـوا ، وغلـب عليهـم الديلـم . والآن لا يـرون ، ولا

يلتفت إلى رأيهم . ثم ذكر خلفاء العباسيين ، وبداية ونهاية حكم كل منهم ، ومكان وفاة بعضهم ، وعدداً كبيراً من قضاتهم . ووصل فى الخلفاء حتى (الطائع لله) . ثم قال : وأول من استولى من الديلم : أبو الحسن ابن بويه ، ثم ابنه (بختيار) ، ثم عضد الدولة ، ثم ابنه بلكارزار ، ثم ابنه الأكبر (أبو الفوارس)(٢١٦) .

(ز) وفى (إقليم الشام) : اكتفى بقوله : والولايات لصاحب مصر ، وقد كان سيف الدولة غلب على أعلاه(٢١٧) .

(ح) وفى إقليم (مصر) قال : وأما الولايات ، فللفاطمى(٢١٨) .

(ط) وفى إقليم (المغرب) قال المقدسى : وأما الولايات ، فلم يخطب لغير بنى أمية بالأندلس قط .

وأما السوس الأقصى ، فأول من غلب هناك (إدريس بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب) ، وذلك أن إدريس أفلت من وقعة من وقعة العباسيين بالطالبيين بـ (فخ) فى خلافة الهادى ، وأتى إلى مصر فساعده صاحب بريدها (واضح مولى المنصور) الشيعى ، فحمله على البريد إلى المغرب بـ (طنجة) ، فاستجيب لدعوته هناك . وقام الرشيد فى خلافته بضرب عنق (واضح) ، وصلبه . ثم دس إلى إدريس رجلاً ، يدعى الشماخ (مولى المهدى) ، وكتب له كتابا إلى عامله (إبراهيم بن الأغلب) على إفريقية ، فخرج حتى وصل إلى (زويلة) ، وأعلمهم أنه طبيب ، وأنه من أوليائهم . فاطمأن إليه إدريس، ثم شكا له علة فى أسنانه فأعطاه ما يستن به مسموماً ليلاً ، وأمره باستخدمه عند الفجر . فقتل إدريس ، ولم يلحق بالشماخ ، فولاه الرشيد بريد مصر(٢١٩) .

* ملاحظات على ما تيسر من المادة التاريخية التقليدية السابقة :

١ - المعلومات الواردة مختصرة وسريعة ، فهى لم تقصد لذاتها ، وإنما أتت عرضاً أثناء دراسة الأقاليم الجغرافية الشاملة ، فرأى المقدسى أن يتحدث عن حكام كل إقليم بسرعة ولذلك فهى ليست تاريخاً مفصلاً ، لكنها كتابات طالت شيئاً ما عند خلفاء العباسيين بالعراق ، بينما تضاءلت جدا عند تناول إقليمى (الشام ، ومصر) ، وكأنه اكتفى فيهما بالإشارة إلى القوى التى حكمتهما مؤخراً . بينما أتى حديث المقدسى عن حكام (شبه الجزيرة) خالياً من ذكر مواقيت ولاياتهم مقتضبا . وبخصوص المغرب فقد عاد إلى بدايات حكم الأدارسة فى المغرب الأقصى ، وأشار إلى سيطرة بنى أمية على الأندلس .

٢ - بعض المعلومات التاريخية الواردة تلقى ظلالاً جديدة على بعض الأحداث ، فالحجاج لم يهدم الكعبة ويضربها بالمنجنيق لذات الهدم والتخريب ، وإنما فعل ما فعل لإزالة ما أحدثه عبد الله بن الزبير من تعديل على بنيانها ؛ نكاية فى خصمه اللدود . ولا شك فى أن الحجاج كان يهدف من الضرب - ايضاً - إجبار ابن الزبير على الاستسلام . وقد ذكر أبو حنيفة الدينورى : أن الحجاج نصب المنجنيق على (ابى قبيس) ؛ ليضرب ابن الزبير ، وأهل المسجد المتحصنين بالكعبة ، فنالها شر حتى مقتل ابن الزبير سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م(٢٢٠) . ويتفق الطبرى مع هذا القول ، وتزيدنا روايته أن الحصار دام سبعة شهور ، وأن الرعد والبرق أصاباً مكة وبعض جند الشام مع الحجاج ، عندما سلط المنجنيق على الكعبة ، لكن الحجاج طمأن جنده بأن ما اصابهم يصيب عدوهم كذلك : فواصلوا الضرب(٢٢١) .

ويذكر لنا ابن كثير أن حجارة المنجنيق سقطت فى الكعبة ، وأن ابن الزبير قتل فى المسجد الحرام ، ودخلت جيوش الحجاج من أبواب المسجد(٢٢٢) .

ويضيف الطبرى قائلاً : إن الحجاج نقض بنيان الكعبة ، الذى كان بناه ابن الزبير، لما أدخل الحجر فى الكعبة ، وجعل لها بابين ، فأعادها الحجاج إلى بنائها الأول سنة ٧٤هـ/٦٩٣م(٢٢٣) .

٣ - بعض المعلومات المذكورة مخالف للمعروف المتواتر ، فناقة رسول الله لم تبرك قرب مسجد صحار بعمان وإنما بركت بالمدينة عند دار بنى مالك بن النجار ، وذلك فى مكان مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار(٢٢٤) . وكذلك لم يؤثر أن الرسول ﷺ اختبأ فى جبل أحد ، وإنما كان الجبل فى ظهر جيش المسلمين، ووضع الرسول عليه الرماة ؛ حماية لظهورهم من خيل عدوهم(٢٢٥) . وبخصوص كلام المقدسى عن (القرامطة) ، فمن الواضح الربط بينهم وبين الفاطميين ، لكن غير المفهوم أن يذكر المقدسى أن دولتهم بالبحرين كان بها نظر وعدل ، ولا أدرى كيف يتأتى ذلك وأحكام الشرع معطلة ، وانحرافاتهم على أشدها ، وقد قال المقدسى نفسه : إن الجامع هناك معطل ؟!

٤ - بالنسبة لفرار إدريس إلى مصر ، فقد ذكر المقدسى إن إدريس نزل على واضح (مولى المنصور) ، الذى سهل له مهمة الانتقال إلى المغرب . وبالعودة إلى (تاريخ الطبرى)(٢٢٦) . تبين أن (واضحاً) هذا هو (مولى صالح ابن المنصور) ، وأنه كان رافضياً خبيثاً . وقد قال بنسب (واضح) السابق ابن عذارى أيضاً(٢٢٧) ، خلافا لما قاله المقدسى . ويلاحظ أن المقدسى ذكر أن واضحاً حمل إدريس على البريد حتى نزل به (زويلة) بالمغرب . والصواب ما ذكره الطبرى(٢٢٨) ، وابن عذارى(٢٢٩) : أنه نزل (وليلة)(٢٣٠) . وقد ذكر المقدسى أن الشماخ كوفىء بتوليته بريد مصر ، وهى معلومة صحيحة ، وردت لدى الطبرى(٢٣١) من قبل ، وابن عذارى من بعد(٢٣٢) .

٥ - إذا ألقينا نظرة فاحصة على المادة التاريخية ، التى أوردها المقدسى عن (الخلافة العباسية) ، والحكام الديلم (البويهيين) ؛ فإننا نخرج بعدة ملاحظات على النحو الآتى :

(أ) ورد نسب الخليفة العباسى السفاح فى كتاب المقدسى هكذا : (عبد الله بن محمد بن على بن العباس)(٢٣٣) . وبالعودة إلى الطبرى ، وجدت أن الصواب كالأتى : (عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس)(٢٣٤) .

(ب) أسقط المقدسى الخليفة (المهتدى) ، فلم يذكره ، رغم أنه ولى الخلافة بين (المعتز والمعتمد)(٢٣٥) ، من شهر رجب سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م ، حتى عزل وتوفى فى الثامن عشر من شهر رجب سنة ٢٥٦هـ ٨٦٩م(٢٣٦) . ومن قبل لم يذكر خلافة (الأمين ١٩٣ - ١٩٨هـ/ ٨٠٨ - ٨١٣م ، واكتفى بالإشارة إلى خروج أخيه المأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ/ ٨١٣ - ٨٣٣م) عليه ، وقتله إياه(٢٣٧).

(جـ) وقع خلل فى نسبة بعض الخلفاء لمن قبلهم : فمثلاً : قال المقدسى بعد مقتل المنتصر (٢٤٧ - ٢٤٨هـ / ٨٦١ - ٨٦٢م) : فبويع لابنه أبى العباس أحمد المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢هـ / ٨٦٢ - ٨٦٦م)(٢٣٨) . والصواب : فبويع لعمه (أحمد بن المعتصم) ؛ لأن الأتراك - بعد مقتل المتوكل ، وابنه المنتصر على أيديهم - خشوا أن يلى أحد أبناء المتوكل ، فلا تبقى لهم باقية ، فولوا ابن أستاذهم (أحمد بن المعتصم)(٢٣٩) .

وأيضاً وقع خلط عندما قال المقدسى بعد وفاة المعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ / ٨٦٩ - ٨٩٢م) :

ثم بويع لابنه أبى العباس (أحمد بن ابى أحمد المعتضد)(٢٤٠) . والصواب : بويع لابن أخيه الموفق : فالموفق يكنى أبا أحمد ، والذى ولى هو ابنه أبو العباس(٢٤١) .

وكذلك وقع خطأ فى قول المقدسى بعد وفاة المكتفى (٢٨٩ -٢٩٥هـ/ ٩٠١ - ٩٠٧م) ، حين قال : ثم بويع ابنه (أبو الفضل جعفر المقتدر بالله ٢٩٥- ٣٢٠هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢م(٢٤٢) . والصواب : ثم بويع أخوه (جعفر بن المعتضد بالله)(٢٤٣) ؛ لأن المقتدر والمكتفى أخوان ، فهما ابنا الخليفة (المعتضد).

(د) بالنسبة لذكر الخلفاء العباسيين : فإننا نلاحظ عدم ذكر قضاة (الأمين، والمهتدى) ، فهماً لم يذكرا أصلاً ، ومن ثم لم يشر المقدسى لقضاتهما ، وكذلك لم يشر إلى قضاة الخلفاء : القاهر ٣٢٠ - ٣٢٢هـ / ٩٣٢ - ٩٣٣م ، والراضى ٣٢٢ - ٣٢٩هـ / ٩٣٣ - ٩٤٠م ، والمتقى ٣٢٩ - ٣٣٣هـ / ٩٤٠ - ٩٤٤م. وأيضاً الخليفة المطيع (٣٣٤ - ٣٦٣هـ / ٩٤٥ - ٩٧٣م)(٢٤٤) .

وجدير بالذكر أن المقدسى كان يذكر أكثر من قاض فى عهد الخليفة الواحد عند تعددهم ، لكنى أرصد الملاحظات الآتية :

١ - أن الاسم الصحيح لجد قاضى المهدى (محمد بن عبد الله بن علاقة) هو (علاثة)(٢٤٥) .

٢ - أن أبا يوسف (يعقوب بن إبراهيم الأنصارى ١١٣ - ١٨٣هـ / ٧٣١ - ٧٩٨م) قاضى القضاة المشهور لم يكن أحد قاضيين ولاهما الخليفة الهادى (١٦٩ - ١٧٠هـ / ٧٨٥ - ٧٨٦ م) فقط(٢٤٦) ، وإنما الصحيح : أنه ولى القضاء لثلاثة من خلفاء بنى العباس (المهدى ١٥٨ - ١٦٩ هـ / ٧٧٤ - ٧٨٥هـ ، والهادى ، والرشيد ١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨م)(٢٤٧) .

٣ - أن ابن أبى الشوارب (الحسن بن محمد بن أبى الشوارب) كان قاضياً للمعتز ، كما ذكر المقدسى ، لكن الأخير عاد وجعله قاضياً للمعتمد(٢٤٨) . وقد وجدت لدى الطبرى أن هذا الرجل حبس أواخر عهد المهتدى ، وولى مكانه (عبد الرحمن بن نائل البصرى) قضاء سامرا(٢٤٩) .

ثم وجدت له ذكراً ثانياً سنة ٢٦١هـ / ٨٧٤م أيام (المعتمد) عند إعطائه نسخه من كتابه ولاية العهد ؛ ليقوم بتعليقه فى الكعبة(٢٥٠) . فلعله أعيد للقضاء ثانية . وعلى كل فقد وافته المنية فى العام نفسه(٢٥١) .

(هـ) وأخيراً ، فبالنسبة لحكام الديلم ، الذين سيطروا على الخلفاء العباسيين إبان ضعفهم فلى عدة ملاحظات هى :

١ - ذكر المقدسى أن أول من استولى من الديلم (أبو الحسن بن بويه ، ثم ابنه بختيار) . والصواب : أول من استولى من الديلم (البويهيين) على العراق هو أبو الحسين بن بويه(٢٥٢) ؛ حتى يصح أن يكون الحاكم بعده ابنه (بختيار) المذكور(٢٥٣) .

٢ - ما ذكره المقدسى عن ولاية (عضد الدولة) (٢٥٤) حكم العراق بعد (بختيار) صحيح . أما ابن عضد الدولة (بلكارزار) هذا ، الذى ولى بعد أبيه ، فلم أقف عليه فيما تحت يدى من مصادر .

٣ - وبخصوص أبى الفوارس (الابن الأكبر لعضد الدولة) ، فاعتقد أنه هو الذى أشار إليه ابن الأثير ، وقال : هو شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة . ولى العراق سنتين ، وثمانية أشهر ، وأياماً ، وتوفى مستهل جمادى الآخرة سنة ٣٧٩هـ(٢٥٥) .

ثانياً : مجمل المادة التاريخية غير التقليدية :

بعد أن استعرضنا المادة التاريخية الواردة فى القسم الأول من (أحسن التقاسيم) للمقدسى ، وكانت تتعلق - فى غالبها - بالجانب السياسى ، ننتقل إلى أبرز معالم المادة التاريخية غير التقليدية ، التى يمكن أن تخدم الباحثين فى مجال التاريخ وهى على النحو الآتى :

١ - **فى المجال الاقتصادى** : اهتم المقدسى برصد العديد من المظاهر الاقتصادية فى (**أقاليم بلاد العرب**) كما يلى :

(أ) **فى مجال الزراعة** : اهتم الرجل بالحديث عن الكثير من النواحى المرتبطة بالمجال الزراعى ، مثل : ذكر الأنهار لموجودة فى الأقاليم الجغرافية ، التى قام بالتعريف بها والتى تروى الأراضى الزراعية عن طريقها ، وكذلك طرق الرى المستخدمة كالسدود المقامة على بعض الأنهار(٢٥٦) ، والاستفادة من ظاهرة المد والجزر(٢٥٧) . وأشار - أيضاً - إلى مصادر الرى الأخرى ، مثل : الآبار العذبة ،

والعيون ، والبرك العظيمة ، والقنوات(٣٥٨) . ولم يفت المقدسى الاهتمام بالإشارة إلى المقاييس المقامة على الأنهار(٣٥٩) ، باعتبارها خطوة مهمة متقدمة ، تبرز مدى الاهتمام بكمية المياه الواردة إلى الأنهار الكبيرة ، لتوسيع الرقعة الزراعية التى يمكن استغلالها ، ويحقق عدالة توزيع المياه بين الناس ، وتجنب حدوث الكوارث بالاحتياط لها(٣٦٠) . وأخيراً ، تناول المقدسى بالذكر المحاصيل الزراعية التى تجود زراعتها فى أقاليم العرب المختلفة من حبوب ، وبقول ، وخضراوات ، وفواكه على مختلف أنواعها ، ذاكراً ما تشتهر به المدن المختلفة ، والظروف المناخية ووسائل الرى الملائمة لذلك(٣٦١) .

(ب) **فى مجال الثورة الحيوانية** : أورد المقدسى بعض المعلومات المتصلة بالنشاط السكانى فى أقاليم العرب ، فذكر الخيول ، والأغنام ، والأنعام ، والأسماك ، وبعض أنواع الطيور(٣٦٢) ، إلى جانب الإشارة إلى بعض التماسيح الموجودة فى بعض المناطق(٣٦٣) .

(جـ) **فى مجال الصناعة** : أطلع المقدسى على عدد من الثروات المعدنية التى تحويها أقاليم العرب ، مثل : الذهب والحديد والفضة ، والرخام ، واللؤلؤ ، والمرجان(٣٦٤) . وقد قامت بتلك الأقاليم عدد من الصناعات اليدوية كالمنسوجات والملابس خاصة الثياب الصوفية الرفيعة ، والأردية الملونة ، والستور، والأنماط(٣٦٥) . وكذلك وجدت صناعة الأرحية ، التى أقيمت على أفواه الأنهار، وتدار بوسطة المياه(٣٦٦) . وفى البلدان التى راجت فيها زراعة الزيتون ، أقيمت معاصر الزيوت . ويضاف إلى ذلك صناعة الصابون الجيد ، والمكاتل ، والسلاسل، والسيور الجلدية ، والأقلام والشمع ، والحلوى(٣٦٨) .

(د) **فى العمران** : أكثر المقدسى من الاهتمام بمظاهر العمران فى أقاليم العرب ، وسجل لنا العديد من شواهد ذلك فى وصف بارع دقيق . ولا شك أن نبوغ جده وعمه فى الفن المعمارى كان له تأثيره فى رؤية المقدسى الثاقبة لفنون المعمار فى الأقاليم التى زارها وكتب عنها . اهتم المقدسى فى كتابه بالإشارة إلى

قيام المدن (مثل : بغداد ، وسامرا) ، والعوامل المساعدة على قيامها (بيئية ، وزراعية ، ودينية ، وإدارية ، ومناخية ، ودفاعية وتجارية ، وغيرها) . وكذلك أهتم بإبراز عوامل ضعف المدن وانهيارها كتحول مركز الدولة عنها ، وضعف الخلفاء وسوء الإدارة ، وغير ذلك(٢٦٨) . ولا شك فى أن المساجد باعتبارها فنوناً معمارية مهمة جذبت انتباه المقدسى بتميزها وفخامتها ، فقام بوصف العديد منها كالمسجد الحرام بمكة وتطورات زيادة ةمساحته(٢٦٩) ، والمسجد النبوى بالمدينة(٢٧٠) ، وبيت المقدس بفلسطين(٢٧١) ، والجامع الأموى بدمشق(٢٧٢) ، وجامع عمرو بن العاص فى مصر(٢٧٣) .

(هـ) **التجارة** : تطرق المقدسى فى كتابه (أحسن التقاسيم) إلى ذكر مختلف أنواع الصادرات والواردات المتبادلة بين أقاليم العرب من مصنوعات جلدية، وغزل ونسيج ، ومواد غذائية ، وجلود ، ومنتجات حيوانية وصناعات معدنية ، وزيتية ، وغيرها(٢٧٤) . ولا شك فى أنَ الترابط والتكامل كان قائماً بين هاتيك الأقاليم من خلال الأسواق الداخلية ، وشبكة المواصلات البرية الرابطة بين مختلف الأجزاء والبلدان(٢٧٥) ، وكان المقدسى حريصاً على بيانها مع نهاية حديثه عن كل من هذه الأقاليم . ولا شك فى أن الدولة الإسلامية كانت تتمتع بالرخاء، ويدخل خزينتها أموال طائلة من جراء هذا التبادل التجارى ، إلى جانب مصادر الدخل الأخرى من خراج وجزية وضرائب أخرى(٢٧٦) . ونعتقد ومن خلال الصورة التى نقلها المقدسى - أن الرخاء كان منتشراً فى عدد غير قليل من تلك الأقاليم إذ كانت أسعار السلع رخيصة على نحو ما لمس المقدسى بنفسه ، مثل : أسعار اللحوم ، والتمور ، والتين ، والزبيب ، والأعناب ، والزيتون ، وغيرها(٢٧٧). وأخيراً ، حوى كتاب المقدسى الكثير عن المكاييل والأوزان ، والنقد المستعمل فى الأقاليم العربية التى درسها(٢٧٨) .

٢ - **فى الناحية الاجتماعية** : سلط المقدسى الأضواء على حياة سكان الأقاليم العربية المختلفة من كافة زواياها بشكل يدعو إلى الإعجاب والانبهار .

فأهتم بالحديث عن عناصر السكان الغالبة على بعض الأقاليم(٢٨٠) وذكر حرفهم وأنشطتهم وأعطانا صورة واضحة لدورهم وأماكن سكناهم ، وعدد سكان الدار الواحدة(٢٨١) . واهتم بدراسة نفسيات شعوب هذه الأقاليم ، وطبائعهم ، وأخلاقياتهم وسلوكياتهم بإيجابياتها وسلبياتها(٢٨٢) . وتعرض ايضاً - للحديث عن عاداتهم وتقاليدهم المتبعة فى حياتهم ، وأحوال حماماتهم(٢٨٣) ، والإضاءة فى مساجدهم(٢٨٤) . وكذلك اهتم بأزيائهم وملابسهم التى يرتدونها(٢٨٥) ، وبمظاهر احتفالاتهم وأعيادهم(٢٨٦) ، ومستوى معيشتهم(٢٨٧) .

٣ - **فى الناحية الثقافية** : حرص المقدسى على دراسة الأوضاع الفكرية والثقافية بعامة فى كافة الأقاليم الجغرافية التى تعرض لها ، فدرس المذاهب الدينية الموجودة ، واتجاهات الفقهاء ، وأحوال الفرق الدينية الموجودة(٢٨٨) ، وعلماء القراءات(٢٨٩) ، ومظاهر الخلافات والصراعات بين أتباع الشيعة والسنة(٢٩٠) ، إلى جانب تركيز الأضواء على أهل الذمة الموجودين فى كل إقليم (من يهود ، ونصارى ، ومجوس)(٢٩١) . ويضاف إلى ذلك - اهتمامه بأحوال العلم فى الإقليم ومدى توافر حلقاته فى المساجد(٢٩٢) . وأخيراً ، فقد كان يركز على بيان الأوضاع اللغوية فى الأقاليم(٢٩٣) ، ومدى قوة وازدهار الواقع اللغوى ، وفصاحة ألسن سكانه من عدمها .

٤ - **وأخيراً ملمح من ملامح العلاقات الدولية** : وتمثل فى معلومات جديدة عن تفاصيل عمليات تبادل الأسرى بين الدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية ، ومراسم الفداء بالشام(٢٩٤) ، وتتبع أحوال هؤلاء الأسرى من المسلمين فى القسطنطينية(٢٩٥) .

وبعد فقد انتهينا - بعد هذا التطواف الكبير - من دراسة القسم الأول من (أحسن التقاسيم) للمقدسى ، فبينا موضوعاته ، وأقسام موارده ، ومنهجه فى التناول بإيجابياته وسلبياته . وأخيراً ، عرضنا وحللنا - ما أمكن - المادة التاريخية التقليدية لديه ، وعرضنا جوانب المادة التاريخية غير التقليدية (اقتصادياً ،

واجتماعيا، وثقافيا ، وجانبا من العلاقات الدولية) فى هذا القسم ؛ كى نصل - فى النهاية - إلى قناعة بأننا أمام مصدر جديد من مصادر تاريخ العرب .

وقد يرى البعض أن هذا المصدر مساعد وغير أصيل فى باب (التاريخ). ونرد بأن المهم أنه بمنهجه المتميز ، وبمادته المبثوثة فى ثناياه ، به من المادة التاريخية الجديدة ربما ما لا نجده فى كتب التاريخ العام الأصيلة . وثمة ملاحظة أخرى ، وهى أن (أحسن التقاسيم) لم ينقل عنه المؤرخون . والحق أننى وقفت على نقول منه لدى ياقوت صاحب (معجم البلدان) فى عدة مواضع جغرافية بالطبع(٢٩٦) ، إذ لم يفطن الأقدمون إلى أهميته التاريخية .

والخلاصة :

١ - أننا أمام باحث جاد ، وجغرافى بلغ أعلى درجة فى وصف البلدان بعد طول الارتحال(٢٩٧) ، وكثرة الإطلاع ، وهو - أيضاً باحث ناقد يتحرى تمحيص ما ينقل(٢٩٨) .

٢ - أننا أمام باحث موسوعى الثقافة منهجى التفكير ، استطاع أن يصهر عناصر ثقافته فى بوتقه مؤلفه ، ونجح فى عرض جغرافى شامل متميز ، حيث تركنا وكأننا نعايش هذه البلدان ، ونعاصر ما فيها (بعد أن عالجها من كافة زواياها) .

٣ - أن الدراسة الشاملة التى قدمها المقدسى أعطتنا نموذجاً عملياً ناجحاً ، ومثلاً يحتذى فى التآزر والتناسق ، والتعاون والتكامل بين فروع المعرفة ؛ إذ نجح فى أن يوائم بين المعلومات الجغرافية والمادة التاريخية ، فقدم للباحثين المعاصرين فى مجال التاريخ مادة حضارية غزيرة ، تسد كثيرا من الثغرات الموجودة فى كتب التاريخ الأصيلة . ومن هنا حق لنا أن نعد (أحسن التقاسيم) مصدراً جديداً من مصادر تاريخ العرب .

الهوامش

(١) تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، للدكتور حسين مونس (ط٢ - ١٩٨٦م ، طبعت بعناية المنظمة العربية للتربية والثقافية والعلوم) ص ١ .

(٢) أورد له ابن النديم عدة مؤلفات ، يمكن - من عناوينها - أن نعدها فى كتب الجغرافية مثل : (كتاب البلدان الصغير) ، و (كتاب البلدان الكبير) ، و(قسمة الأرضين) و (كتاب الأقاليم) . (الفهرست ، ط . دار المعرفة - بيروت) ص ١٤٢ .

(٣) راجع ترجمته فى (معجم الأدباء) لياقوت (ط٣ - دار الفكر ١٩٨٠م ، ١٥٤/٥) .

(٤) راجع ترجمته المفصلة الواردة فى (المصدر السابق) ٦٤/٣ - ٦٨ ، وكذلك دراسة كراتشكوفسكى عنه فى كتابه : (تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م) ١٩٧ - ١٩٩ (من الترجمة العربية لصلاح الدين عثمان هاشم) .

(٥) راجع الدراسة التى كتبها كراتشكوفسكى عنه فى (المرجع السابق) ١٩٩/١ - ٢٠١ . وتجدر الإشارة إلى أن مصنف الاصطخرى (المسالك والممالك) قد نشر فى سلسلة (تراثنا) ، التى كانت تصدرها (وزارة الثقافة والإرشادالقومى) بالقاهرة ، بتحقيق : دكتور محمد جابر الحينى سنة ١٩٦١م .

(٦) تاريخ الأدب الجغرافى العربى ١٩٧/١ .

(٧) كذا ضبط النسبة ابن خلكان فى (وفيات الأعيان ، طبعة دار صادر ، تحقيق د. إحسان عباس) جـ٣ ص ٢٩٢ ، وجعل النسبة إلى (بيت المقدس) . وكذا ذكر السمعانى فى (الأنساب ، ط دار الجنان - بيروت) جـ٥ ص ٣٦٣ ، زاد قائلا بلدة (بيت المقدس) هى البلدة المشهورة ، التى ذكرها الله فى القرآن فى غير موضع ، وبها المسجد الأقصى ، وقبة الصخرة ، والمواضع الشريفة ، وإليها قبلة المسلمين سبعة عشر شهراً أول مقدم الرسول المدينة .

وتجدر الإشارة إلى وجود صيغة أخرى لهذه النسبة هى (المقدسى) . وقد أشار بروكلمان إلى استخدام (دى غويه) لهذه الصيغة فى نشرته لكتاب (أحسن التقاسيم).

ويضيف بروكلمان أن هذه ربما كان المقدسى نفسه يستخدمها ، بدليل ما ورد فى قصيدة له فى نهاية كتابه (ص ٣٧٣ ، ط . دار إحياء التراث العربى) ، حيث وصف كتابه بأنه (حكمة مقدسة) . (تاريخ الأدب العربى ، طبعة الهيئة العامة ، القسم الثانى ص ٦٦١ ، هامش١). والحق أن هاتين الكلمتين وردتا متفرقتين فى آخر بيتين من القصيدة المذكورة . لكنى أرى أن هذ التخريج بعيد . والصواب لدى أن كلتا الصيغتين صحيح ، فالمقدسى نسبة إلى (بيت المقدس) ، أى : البيت المطهر الذى يتطهر به من الذنوب . و (المقدسى): نسبة إلى (البيت المقدس) ، أى : المبارك ؛ لأن القدس تعنى البركة . (راجع مادة : المقدس فى (معجم البلدان) لياقوت ، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت) ١٩٣/٥ - ١٩٤ ، و(لسان العرب) لابن منظور (ط . دار المعارف) ، مادة (ق. د. س) جـ ٥ ص ٣٥٥٠، و(المعجم الوسيط ، ط٢ - بجمع اللغة العربية) جـ٢ ص ٧٤٦ .

(٨) كشف الظنون ، لحاج خليفة (طبعة دار العلوم الحديثة - بيروت) ١٦/١ .

(٩) ورد لقبه هذا فى (معجم البلدان) لياقوت ١٩٦/٥ ، لكنى لم أقف على أصل تلك النسبة فيما تيسر لى من معاجم اللغة ، ومصادر الأنساب .

(١٠) أحسن التقاسيم ص ٣٣٥ .

(١١) جعله د. فلاح شاكر والد المقدسى ، لا جده . (المقدسى ، طبعة دار الشئون الثقافية - بغداد ص ٧) . والصواب ما اثبت بالمتن .

(١٢) قال عنها المقدسى : مدينة حصينة على البحر ببلاد الشام ، كبيرة الجامع ، وبه غابة زيتون . وتم تحصينها فى عهد (أحمد بن طولون) بعد زيارته لها . (أحسن التقاسيم ص ١٤٢) .

(١٣) المصدر السابق .

(١٤) السابق : ص ٣٣٥ . وأرى أن سفر المقدسى ، وترحاله الطويل مع ما يتطلبه ذلك من نفقات باهظة ، إلى جانب ما عرفنا عن مكانة جده ، وامتلاك والده الغلمان ، كل ذلك يجعلنى أميل إلى جعل أسرته فى مصاف الأثرياء ، خلافاً لما رآه محرر مادة (المقدسى) من أن أسرته من الطبقة المتوسطة .

(M. Miquel : AL - Muk addasi, Published in the Encyclopaedia of Islam (New edition), Leiden - New York, vol. 7, 1993, p. 492).

(١٥) أحسن التقاسيم : ص ٥٣ .

(١٦) كذا ضبطها ياقوت بالحروف ، وقال : هى كورة كبيرة واسعة ، تشتمل على مدن وقرى ومزارع ، وهى فى ذيل جبال طبرستان ، وأكبر ما يكون فى ولاية ملكها قصبتها مشهورة هى (مامغان) ، ومن مدنها المشهورة (بيار) . (معجم البلدان ٤/٤٧٠) .

(١٧) أحسن التقاسيم ص ٢٧٣ .

(١٨) المصدر السابق ص ١٦١ .

(١٩) السابق ص ٢٣ (أيام دولة أمير المؤمنين أبى بكر عبد الكريم الطائع لله ٣٦٣ - ٣٨١هـ) فى المشرق ، وأبى منصور نزار العزيز بالله (٣٦٥ - ٣٨٦هـ) أمير المؤمنين بالمغرب) .

(٢٠) وقد نص على ذلك كراتشكوفسكى فى (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) جـ١ ص ٢٠٩ ، ود. فلاح شاكر فى كتابه : (المقدسى) ص ٧ .

Maqdisi, al published in the New Encyclopaedia Britannica, Chicago, U. S. A vol. 7, 1985, P. 809.

مع ملاحظة أن (دائرة المعارف البريطانية) أشارت إلى ذلك التاريخ بالميلادى فقط (946) . وبناء على ما تقدم ، فإن تحديد الزركلى ، وكحالة تاريخ ميلاد المقدسى بـ (سنة ٣٣٦هـ) تنقصه الدقة (الأعلام ، ط٩ ، دار العلم للملايين - بيروت ، ١٩٩٠م) ٣١٢/٥ ، ومعجم المؤلفين (ط . مؤسسة الرسالة) ٥٢/٣ .

(٢١) الأعلام ٣١٢/٥ .

M. Miquel : Al - Muk addasi, published in the Encyclopaedia of Islam (New edition), Leiden - New York, vol. 7, 1993, p. 492.

(٢٢) تاريخ الأدب الجغرافى العربى جـ١ ص ٢١٠ .

Maqdisi, al published in the New Encyclopaedia Britannica, Chicago, U. S. A., vol.7, 1985, p. 809.

مع ملاحظة أن (دائرة المعارف البريطانية) أشارت إلى ذلك التاريخ بالميلادى فقط (1000) .

(٢٣) تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ، للدكتور حسين مؤنس ص ١٠ .

(٢٤) المقدسى ، للدكتور فلاح شاكر ص ٨ .

(٢٥) والشىء نفسه يمكن أن يقال رداً على أن المقدسى توقف فى ذكر حكام الديلم (البويهيين) عند ولاية (أبى الفوارس بن عضد الدولة) المتوفى مستهل جمادى الآخرة سنة ٣٧٩هـ (الكامل لابن الأثير ، ط. دار الكتب العلمية) جـ٧ ص ٤٣٦.

(٢٦) تاريخ الأدب الجغرافى العربى جـ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

M. Miquel : Al - Muk addasi, published in the Encyclopaedia of Islam (New edition), Leiden - New York) , vol.7, 1993, p. 493.

(٢٧) أحسن التقاسيم ص ١٩ .

(٢٨) المصدر السابق ص ١٥ .

(٢٩) تاريخ الأدب الجغرافى العربى جـ١ ص ٢١٥ .

(٣٠) تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ص١٠ .

(٣١) أحسن التقاسيم ص ١٩٩ . والملاحظ أن كلمة (نسيج) الواردة فى النص قد حرفت إلى (تسبح) ، ولم يصوبها المحقق (د. محمد مخزوم) . ومن قبل قرأها كراتشكوفسكى (تسبح)، كما ورد فى الأصل ، لكن المترجم صوبها . (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) ٢١١/١ (راجع الهامش) .

(٣٢) أحسن التقاسيم ص ٣٧٢ - ٣٧٣ .

(٣٣) هو كراتشكوفسكى فى كتاب (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) ٢١٥/١ .

(٣٤) أحسن التقاسيم ص ٢١ .

(٣٥) تمام الآية : (ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين) . (سورة الأنعام ٦ الآية ١١) .

(٣٦) تتمة الجملة من الآية : (كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) . (سورة يوسف ١٢ / من الآية ١٠٩) .

(٣٧) أحسن التقاسيم ص ١٩٩ .

(٣٨) مما أخذه على السابقين نقلهم الكثير عن كتب سبقتهم (كما هو الحال فى احتواء كتاب الجيهانى على جميع أصل ابن خرداذبه) . (راجع المزيد عن ذلك فى المصدر السابق ، والصفحة نفسها) .

(٣٩) مثل قوله عن (ابى زيد البلخى) فى أحد المواضع : أما أبو زيد ، فهو إمام فى هذا العلم ، خاصة فى إقليمه . (السابق ص ٧٣) .

(٤٠) السابق ص ١١٣ .

(٤١) السابق ٢٠٨ .

(٤٢) السابق ص ٩٣ .

(٤٣) السابق ص ٣٧٢ .

(٤٤) السابق ص١٦ - ١٧ . ويمكن مراجعة المزيد عن كثرة رحلاته ، والبلدان التى حل بها حتى نسب إليها (ص ٤٩ - ٥١ ، ٨٥ - ٨٦ ، ٩١ -٩٢ ، ٩٥) .

(٤٥) يرى الدكتور مونس أن الرحلة فى ذاتها لم تكن من مواضع الفخر فى تلك العصور . ثم يستثنى قائلاً : اللهم إلا إذا كانت رحلة حج ، أو رحلة لقاء شيوخ ، وسماع منهم (تاريخ الجغرفية والجغرافيين فى الأندلس) ص ٤١٧ . وفى ص ٣٢٤ : يرى أن هذه الرحلات كانت جزءاً من ذلك النزوع العلمى ، الذى ملأ قلوب أمة العرب فى عصور النشاط والازدهار العلمى .

والحق أننى إذا كنت أوافق على الشطر الأخير من كلامه ، فإن لى تحفظاً على شطره الأول ؛ لأن تجشم مشاق الحج آنذاك بما كان يكتنف رحلاته من مخاطر جمة لم يكن - أيضاً - دافعه الفخر . والشىء نفسه يقال عن رحلات طلاب العلم ، وإذا كان بعضهم يذكر كثرة رحلاته وشيوخه ، فلأن ذلك مرتبط بوثاقة الرواية عموماً ، وروايه الحديث النبوى على وجه الخصوص ، اللهم إلا إذا وجد كذابون مدلسون ، فهذا موضوع آخر .

(٤٦) المرجع السابق ص ٤١٧ - ٤١٨ .

(٤٧) سوف أغفل الحديث عن (ثقافته التاريخية) ؛ لأنى سأتناولها فى مبحث خاص بهـا فى نهاية البحث ، حيث يتم رصد ما يتيسر لى من (المادة التاريخية التقليدية ، وغير التقليدية) فى القسم الأول من الكتاب الذى ندرسه (أحسن التقاسيم) .

(٤٨) تاريخ الأدب الجغرافى العربى جـ١ ص ٢١٤ .

(٤٩) أحسن التقاسيم ص ١٥ .

(٥٠) المصدر السابق ص١٦ .

(٥١) السابق ص١١٣ . وبتحقيق اللفظة لغوياً نقول : كركـر فلانـاً عـن الشـىء :دفعـه ورده وكركر الشىء : أعاده مرة بعد أخرى . (اللسان ، مادة : ك . ر. ر) ٣٨٥٢/٥ ، والمعجم الوسيط (مادة : ك . ر . ك. ر) ٨١٥/٢ .

(٥٢) احسن التقاسيم ص ١٤٣ . وبتحقيق اللفظة لغوياً وجدت أن الهواء السجسج هو المعتدل الطيب ، والأرض السجسج لا سهلة ولا صلبة . والجمع : سجاسـج (اللسان ، مادة : س. ج. س. ج) جـ٣ ص ١٩٣٩ ، و(المعجم الوسيط ، مادة) س. ج. س. ج) ٤٣٣/١.

(٥٣) أحسن التقاسيم ص ٢٠٨ . وديار معناها : أحـد . تقول : مـا بـالدار ديار . قـال الله (تعالى) : ﴿ وقال نوح : رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديـاراً ﴾(سـورة نـوح : ٧١ الآية ٢٦) . راجع المعنى اللغوى فى (اللسان ، مادة : د . و . ر) جـ٢ ص ١٤٥٢ ، و(المعجم الوسيط) ٣١٣/١ .

(٥٤) أحسن التقاسيم ص ٩٤ .

(٥٥) راجع المصدر السابق ص٧٩ .

(٥٦) هناك شعر يحفظه ويرويه (راجع السابق ص ١٤٠) ، إلى جانب شعر نظمه فـى كتابه (ص ٣٧٢ - ٣٧٣) .

(٥٧) وفيها تختلف الأسماء المطلقة على المدلول الواحـد (مثل : لحـام ، وحـزار ، وقصـاب - وقطة، وهرة ، وسنور) (السابق ص ٣٩) .

(٥٨) راجع السابق ص٣٥ - ٣٩ تحت عنوان : (ذكر الأسامى واختلافها) .

(٥٩) السابق ص ٣٥ .

(٦٠) السابق ص ٣٥ - ٣٦ .

(٦١) السابق ص ١٢٦ .

(٦٢) السابق ص ١٧٢ .

(٦٣) السابق ص٤٦ .

(٦٤) الحديث فى (السابق) ص ٧٦ - ٧٧ .

(٦٥) راجع فى (السابق) ص ٧٩ - ٨٠ .

(٦٦) راجع هذه الأحاديث فى (السابق) ص ١٢١ - ١٢٢ ، ١٤٩ - ١٥٠ .

(٦٧) راجع السابق ص ٤٠ ، ١١٣ - ١١٤ .

(٦٨) السابق ص٤٣ .

(٦٩) السابق ص٤٠ .

(٧٠) السابق ص٤٤ - ٤٧ .

(٧١) السابق ص٧٨ ، ١٦٠ - ١٦١ .

(٧٢) كحديثه عن فرائض ، وواجبات ، وسنن الحج عند حديثه عن (مشاهد مناسك الحج). (السابق ص ٨٠) .

(٧٣) اعتمدت فى دراسة هذا القسم من ذلك المصدر على طبعة (دار إحياء التراث العربى) - بيروت ، ١٩٨٧ ، بتقديم ، وهوامش ، وفهارس : (د. محمد مخزوم) .

(٧٤) السابق ص١٥ - ١٧ .

(٧٥) السابق ص١٩ - ٧٢ .

(٧٦) يمتد الحديث عن هذا الإقليم فى (السابق) من ص ٧٣ - ١٠٢ .

(٧٧) يمتد الحديث عن هذا الإقليم فى (السابق) من ص ١٠٣ - ١٢٠ .

(٧٨) يمتد الحديث عن هذا الإقليم فى (السابق) من ص ١٢١ - ١٣٢ . قال المقدسى فى تعريفه ص ١٢١ : منطقة واسطة بين العراق ، والشام ، ومنازل العرب فى الإسلام . وقال عنها ياقوت : اسم كورة بالجزيرة ، أو هى الجزيرة - بين الموصل والفرات - بأسرها . (معجم البلدان) ٢٨٢/١ . ويبدو أن مترجم كتاب (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) اعتمد على (ياقوت) فى تعريفه ؛ إذ قال : (أقور ، أو أثور : منطقة شمال العراق ، أى : الجزيرة) . المرجع السابق ٢١٤/١ بالهامش) .

(٧٩) يمتد الحديث عن هذا الإقليم من ص ١٣٣ - ١٦٤ .

(٨٠) يمتد الحديث عن هذا الإقليم من ص ١٦٥ - ١٨٢

(٨١) يمتد الحديث عن هذا الإقليم من ص ١٨٣ - ٢٠٤ (وفيه جمع بين المغرب والأندلس).

(٨٢) يمتد الكلام على هذا الإقليم (وهو بادية الشام) من ص ٢٠٤ - ٢٠٨ .

(٨٣) بين هذه الأقسام الثلاثة كراتشكوفسكى فى (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) ٢١٣/١ - ٢١٤ ، وعنه نقل - دون إحالة عليه - د. فلاح شاكر فى كتابه : (المقدسى) ص١١.

(٨٤) راجع (أحسن التقاسيم) ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ .

(٨٥) وهذا يدل على رغبة أصيلة لدى المقدسى فى أن يجعل كتابه على غير منوال سابقيه ، ومثالاً للدقة والأمانة العلمية ، خلافاً لنقل الجيهانى كتاب (ابن خرداذبه) ، ونقل ابن الفقيه كتاب (الجاحظ) ، وغيره . (راجع المصدر السابق ص ١٩٩) .

(٨٦) راجع السابق ص٤٩ .

(٨٧) وذلك فى رواية تتصل بأمر معاوية بن أبى سفيان حمل منبر المسجد النبوى إلى جانب المحراب كسائر المنابر ، وما ترتب على ذلك (السابق ص٨٢) .

(٨٨) فى رواية تتصل بأثر ريح الشمال والجنوب فى حياة السكان بالبصرة (السابق ص١١٢) .

(٨٩) فى روايتين تتعلق إحداهما بتماسيح مدينة الفسطاط ، والأخرى بوضع طلسم ؛ لئلاً يغلب ماء البحر على ارض مصر (السابق ص ١٧٩) . والطلسمات جمع طلسم ، وهو - فى علم السحر - خطوط وأعداد ، يزعم أنه يربط بها روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية ؛ لجلب محبوب ، أو دفع أذى . وهو لفظ يونانى لكل ما هو غامض مبهم كالألغاز والأحاجى . (المعجم الوسيط ٢/٥٨٢) .

(٩٠) فى رواية تتعلق بمقدار ما أنفقه المنصور على مدينة السلام ، وأجرة بعض العمال (أحسن التقاسيم ص ١٠٨) .

(٩١) عن مقادير غلة أرض السواد بالعراق (السابق ص ١١٨) .

٩٢) حول مقدار ما انفق على جامع دمشق (السابق ص ١٤٠) .

(٩٣) حول خراج اليمن ، وتقسيمها الإدارى (السابق ص ٩٨) .

(٩٤) حول خراج قنسرين ، وحمص ، والأردن ، وفلسطين (السابق ص ١٦٣) .

(٩٥) حول خراج الحرمين ، واليمن ، واليمامة ، والبحرين ، وعمان (السابق ص ٩٨) .

(٩٦) حول دخل مصر (السابق ص ١٨٠) .

(٩٧) حول دخل مصر قديماً أيام فرعون ، ثم الحجاج ، ثم ولد العباس (السابق : الصفحة نفسها) .

(٩٨) هو أبو الحسن على بن محمد الشمشاطى . من بلاد أرمينية من الثغور . كان معلم أبى تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه ، ثم نادمهما . وكان شاعراً مجيداً ومصنفاً مفيداً، كثير الحفظ . ذكر محمد بن إسحاق النديم أنه كان حيا فى عصره (سنة ٣٧٧هـ) ، وترك كثيراً من أخلاقه لما علت سنه . (راجع ترجمته فى : الفهرست ص ٢٢٠ ، ومعجم الأدباء ١٤/٢٤٠ - ٢٤٤) . ويلاحظ أن (الشمشاطى) حرفت إلى (السميساطى) فى (الفهرست ص ٢٢٠) . والراجح ما ورد فى (معجم البلدان) جـ٣ ص ٤١١ ، حيث قال : شمشاط (وضبطها بالحروف) غير (سميساط) بمهملتين ، وإن كانت كلتاهما على الفرات ، إلا أن التى ينسب إليها هذا المؤرخ تقع فى طرف أرمينية، والأخرى من أعمال الشام .

(٩٩) للشمشاطى مولفات عديدة ذات طابع أدبى ، منها : (أخبار أبى تمام والمختار من شعره) ، و (أخبار أبى نواس والمختار من شعره) . (الفهرست ص ٢٢٠ ، ٢٢٨) . وقد اشار ابن النديم فى (المصدر السابق) ص ٣٢٧ ، إلى أن الشمشاطى أحد من اختصر (تاريخ الطبرى) ، وحذف أسانيده . وأرجح أن النص الذى اقتبسه المقدسى من (تاريخ الشمشاطى) هنا ، ويتعلق باستقدام المنصور ذوى الخبرة والكفاءة عند بناء بغداد، اقتبسه من (تاريخ الطبرى) بشىء من التصرف والتجميع والتنسيق ، ويمكن التحقق من ذلك بمقارنة ما ورد فى (أحسن التقاسيم) ص ١٠٨ - منقولاً عن (تاريخ الشمشاطى) - بما جاء فى (تاريخ الطبرى ، ط . دار المعارف بالقاهرة) جـ٧ ص ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٥٢ .

(١٠٠) حول مقدار مسيرة الدنيا (أحسن التقاسيم) ص ٦٩ .

(١٠١) حول معنى البصرة لغوياً (المصدر السابق) ص ١٠٦ .

(١٠٢) حول سؤال الخضر ملكاً من الملائكة عن ظاهرة المد والجزر . (السابق ص ٢٦) .

(١٠٣) فى رواية تدور حول نقاش دار بين المقدسى ، وهذا القاضى عن عالم بغدادى (السابق ١٠٩ - ١١٠) .

(١٠٤) حول قبر يوسف بالشام (السابق ص ٥٢ - ٥٣) .

(١٠٥) حول بناء جامع فى الرملة فى عهد هشام بن عبد الملك (السابق ص ١٤٣) .

(١٠٦) حول ذكاء رجل ، وصف دير شمويل بالشام لأحد الملوك وصفاً ، نفره من السيطرة عليه . (السابق ص ١٦١) .

(١٠٧) حول مكانة قرطبة ، وصفتها (السابق ص ١٩٢) .

(١٠٨) ذيل بها المصدر حديثاً مطولاً عن (المذاهب فى الأندلس) (السابق ص ١٩٥ - ١٩٦) .

(١٠٩) فى رواية تتصل بحج الخليفة المنصور ، وتوسيع المسجد الحرام بعد شراء دوره المجاورة له بمكة ، ودورأبى حنيفة فى حل إشكال فقهى وقع آنذاك . (السابق ص ٧٧ - ٧٨).

(١١٠) فى رواية عن خراج مصر ، وحوار بين المقدسى ، والمصدر الذى روى عنه حول هذا الشأن . (السابق ص ١٨٠ - ١٨١) .

(١١١) فى روايات متتابعة حول الخصاء وكيفيته لدى الروم ، وحديث عن العبيد والصقالبة بالأندلس) (السابق ص ٢٠٠) .

(١١٢) راجع هذه الروايات بأسانيدها فى (السابق) ص ٢٨ ، ٧٦ - ٧٧ ، ٧٩ (بها روايتان) ، ٩٩ ، ١٠٧ - ١٠٨ ، ١١١ ، ١٢١ .

(١١٣) راجع (السابق ص ٤٨ ، ٨٢ ، ٩٠ ، ١٢٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ - ١٣٧ ، ١٤٩ - ١٥٠ ، ١٧٦ .

(١١٤) فى رواية حول مغارة ، ترجع إل عهد قوم موسى ، وتعد من عجائب إيليا (السابق ١٥٩) .

(١١٥) السابق ص ١٢٩ ، ١٤٧ (روايتان) ١٤٩ ، ١٧٩ .

(١١٦) السابق ص ٦٢ .

(١١٧) السابق ص ٨٤ .

(١١٨) السابق ص ١٣٤ ، ١٦٥ ، ١٧٨ .

(١١٩) السابق ص ٢٨ ، ٤٣ (ويقال عن الأندلس : أنها جنات) ، ٨٢ ، ٨٥ ، ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٧٥ ، ١٨٥ .

(١٢٠) السابق ص ١٢١ .

(١٢١) يحكى عن سفيان بن عيينة رواية عن تشجيع وتأييد عزم العزب الذى يريد الزواج والمريد الذى يسأل الحج وليس معه زاد ؛ لأنه حق على الله أن يعينهما (السابق ص٢٠٨).

(١٢٢) حكى لى عن بعض الزهاد (رواية عن تيسير الله الحج لمن أراد) ص ٢٠٨ .

(١٢٣) السابق ص ٢٦ .

(١٢٤) السابق ص ٩٠ .

(١٢٥) وحدثونا عن ابن عباس (رواية عن وصف الساهرة أرض القيامة) ص ١٤٧ .

(١٢٦) راجع النص فى (أحسن التقاسيم) ص ٦٥ ، وقارنه بـ (المسالك والممالك ، طبعة صورتها ، ونشرتها مكتبة الثقافة الدينية عن طبعة دى غويه) لابن خرداذبه ص ٨٩ .

(١٢٧) راجع النص فى (أحسن التقاسيم) ص ١٦٣ ، وقارنه بـ (المسالك والممالك) لابن خرداذبه ص ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ (بترتيب ذكر البلدان الواردة) .

(١٢٨) راجع النص فى (أحسن التقاسيم) ص ٩٨ ، وقارنه بـ (المسالك والممالك) لابن خرداذبه ص ١٤٤ .

(١٢٩) راجع النص فى (أحسن التقاسيم) ص ٩٨ ، وقارنه بـ (كتاب الخراج) لقدامه ابن جعفر المنشور بقيته بعنوان : (نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة) فى طبعة (صورتها. ونشرتها مكتبة الثقافة الدينية عن طبعة دى غويه ، ملحقة بكتاب ابن خرداذبه فى مجلد واحد) ص ٢٥١ .

(١٣٠) راجع (أحسن التقاسيم) ص ٩٨ ، وقارنه بـ (المسالك والممالك) لابن خرداذبه ص ١٤٤ .

(١٣١) أحسن التقاسيم ص ١٦٣ .

(١٣٢) المسالك والممالك ، لابن خرداذبه ص٧٥.

(١٣٣) العواصم : جمع عاصم ، وهو المانع . وهى اسم ناحية ، وليس موضع بعينه يسمى (العواصم) . وهى حصون موانع بين حلب وأنطاكية أكثرها فى الجبال ، وربما دخل فى هذا ثغور المصيصة وطرسوس . وقصبتها أنطاكية . (المسالك والممالك للاصطخرى) ص ٤٦ ، و (معجم البلدان لياقوت حـ٤ ص ١٨٦) .

(١٣٤) المصدر السابق ، الجزء والصفحة نفسها . وتجدر الإشارة إلى أن (الاصطخرى) ممن يجمعون بين (قنسرين ، والعواصم) ، ويضيف إليهما (الثغور) ، فيقول : (حند قنسرين والعواصم والثغور) . (المسالك والممالك) ص ٤٣ .

(١٣٥) قنسرين : كورة بالشام منها مدينة حلب ، وهى عامرة آهلة بالسكان ، تقع على طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات . وظلت كذلك حتى غلب الروم على مدينة حلب سنة ٣٥١هـ ، وقتلت من كان بضواحيها ، ففر أهل قنسرين ، وتفرقوا فى البلاد،

فعبر بعضهم الفرات ، وآخرون نقلهم سيف الدولة بن حمدان إلى حلب ، كثر بهم من بقى من أهلها . (المسالك والممالك للاصطخرى ص ٤٦، ومعجم البلدان لياقوت (٤٥٨/٤) .

(١٣٦) المصدر السابق ، الجزء والصفحة نفسها .

(١٣٧) راجع (أحسن التقاسيم) ص ١٨٠ ، وقارنه بـ (الخراج) لقدامة بن جعفر ص٢٥١.

(١٣٨) ولعل مما يقوى هذا المنطق أن المقريزى ذكر بعض ولاة الإسكندرية فى العصر الإسلامى (مثل : محمد بن هبيرة سنة ١٩٩هـ) . (الخطط ، نشر : مكتبة الثقافة الدينية) جـ١ ص ١٧٢ ، و(معاوية بن عبد الواحد سنة ٢١٦هـ) . (والمصدر السابق ١٧٣/١ - ١٧٤) . وترى د. سيدة الكاشف أن المدن الساحلية ، وغيرها من المناطق البعيدة كان يولى عليها حاكم ، يعينه الأمير أو الخليفة مباشرة (مصر فى عصر الإخشيديين ، طبعة الهيئة المصرية للكتاب) ص ١٦٩ . والظاهر أن هذا الوضع تمتعت به الإسكندرية حتى تولية أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٧٠هـ / ٨٦٨ - ٨٨٣ م) الأعمال الخارجة عن قصبة مصر (الفسطاط) ، ومنها الإسكندرية التى كان يتقلدها (إسحاق ابن دينار) ، ثم أقره عليها سنة (٢٥٦هـ / ٨٦٩م) (الخطط ٣١٤/١ - ٣١٥) . وأخيراً ، فإن مقدار الدخل الخاص بمصر والإسكندرية الذى نقله إلينا المقدسى عن (قدامة ابن جعفر) ، إنما يرجع - فى الأساس - إلى ما وجد من وثائق الأوضاع المالية فى الخلافة العباسية بدءاً من سنة ٢٠٤هـ /٨١٩م ، لأن الدواوين السابقة على ذلك أحرقت فى الفتنة التى كانت بين الأمين والمأمون (سنة ١٩٧هـ / ٨١٢م) . (الخراج) لقدامة ابن جعفر ص ٢٣ - ٢٣٧ . وهذا يعنى أنها قوائم الخراج الخاصة بعصرى المأمون والمعتصم (من خلال السياق العام لكلام قدامة) . (الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية) للدكتور الريس (ط٥ - ١٩٨٥ ، دار التراث بالقاهرة) ص ٤٩٤ . وهذه الفترة - أيا ما كانت - سابقة على حكم ابن طولون ، فيكون للإسكندرية فيها والٍ خاص بها ، ودخل خاص بها .

(١٣٩) كما فى رواية تذكر أن من زار مسجد يونس بإقليم (أقور) سبع مرات ، فإنهن يعدلن حجة (أحسن التقاسيم) ص ١٢١ .

(١٤٠) كما فى (المصدر السابق) ص ١٢٩ (بخصوص عين يونس فى إقليم أقور ، يزعمون أن يونس خرج منها ، ويستشفى بمائها من البرص .

(١٤١) كما فى (السابق) ص ١٧٦ (عن عروس النيل فى مصر ، وأسطورة إلقاء فتاة بكر فيه ؛ ضماناً لجريانه) .

(١٤٢) مثل : سؤاله بعض المصريين فى بخارى عن خراج مصر (السابق ص ١٨٠) .

(١٤٣) كسؤاله بعض الروم عن الخصاء وكيفيته (السابق ص ٢٠٠) .

(١٤٤) مثل : عريب الخادم ، وعرض كلام عريب هذا على أحد الثقات لديه . (السابق : الصفحة نفسها) .

(١٤٥) كرحلاته إلى (مدينة زبيد باليمن) . (السابق ص ٨٥) ، ورحلته إلى عدن (ص ٩٤ - ٩٥) ، وبغداد (ص١٠٥ - ١٠٦) ، وجبل لبنان بالشام (ص ١٦٢) .

(١٤٦) مثل : تجواله بالبصرة ، يعاين حديث الناس بعضهم إلى بعض ، يقررون حالة فى بلادهم يعايشونها (حديث الرجل إلى صاحبه فى البصرة عن دور ريح الشمال فى تلطيف الجو عندهم ، وسوء حالهم فى ظل ريح الجنوب) . (السابق ص ١١٢) . وكذا ما ذكره عن مسحه بادية الشام يميناً وشمالاً ، وشرقاً وغرباً (ص ٢٠٤) .

(١٤٧) مثل : جوبانه المحيط الهندى أكثر من مرة ، ومطالعة المقدسى الخرائط النظرية التى معه للتوضيح ، ومعرفة مواقع البلدان ، ومقارنتها بالخرائط العملية الموجودة مع إمام التجار (أبى على بن حازم) فى البحر ، ومجالسته ، حيث تجوب مراكبه هذا المحيط أبداً . (ص ٢٤ - ٢٥ .

(١٤٨) على رأس أنواع المشاهدة ما يتصل برؤية (المشاهد الأثرية) ، تلك التى رصدها المقدسى بدقة من واقع زياراته الميدانية لأقاليم العرب ، وكأنه يضع أمام المؤرخين صورة للأماكن الأثرية ، التى تفيدهم زيارتها فى دعم كتابتهم التاريخية عن أحداث هذه البلدان. (راجع ذلك فى صفحات ٧٦ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ١١٦ ، ١٤٧ ، ١٥٢ ، ١٧٨ ، مثل : أثر قدم إبراهيم (عليه السلام) ، ومكان مولد الرسول ، ودار خديجة ، وقبور طلحة والزبير وعلى) .

(١٤٩) وذلك فى البلدان التى لم يزرها المقدسى ، مثل : بلاد الأندلس ، التى عرضها - باختصار - مختلطة بإقليم المغرب ، معتمداً على النقل والسؤال . (ص ١٨٣) .

(١٥٠) السابق ص١٥ .

(١٥١) السابق ص ١٥ - ١٦ .

(١٥٢) السابق ص٤٩ .

(١٥٣) هناك غموض يعترى هذه الشخصية السياسية الجغرافية فى آن . وقد اختلف حول اسم هذا العالم ، فبينما ياقوت يسميه فى موضع بـ (أحمد بن محمد بن نصر الجيهانى) ، ويكنيه بـ (أبى عبد الله) . (معجم الأدباء) حـ٤ ص ١٩٠ ، ويسبقه إلى ذلك ابن النديم فى (الفهرست) ص ١٩٧ ، فإن صاحب (معجم الأدباء) يعود ثانية فى حـ١٧ ص ١٥٦ - ويسميه (محمد بن أحمد بن نصر الجيهانى ، ويكنيه الكنية نفسها) . وقد تبع التسمية الأولى بروكلمان فى (تاريخ الأدب العربى) القسم الثانى ص ٦٥١ . أما كراتشكوفسكى ، ود . حسين مؤنس فقد تبعاً التسمية الأخيرة (تاريخ الأدب الجغرافى ٢١٩/١ ، وتاريخ الجغرافية والجغرافيين ص ١٩٦ ، وإن لقبه بالجيحانى ، او الجيانى ، وهو ما انفرد به دون غيره) . والراجح - عندى - التسمية الأخيرة ؛ لمجيئها فى مصادر أخرى ، ألقت لنا بعض الأضواء على حياة هذا الرجل ، كما سنرى .

وحول التعريف بهذا الرجل ذكر بروكلمان أنه وزير (نصر بن أحمد بن نصر السامانى ٢٦١ - ٢٧٩هـ / ٨٧٤ - ٨٩٢م) . (تاريخ الأدب العربى ، القسم الثانى ص ٦٥١). واعتقد أن بروكلمان نقل ذلك عن ابن النديم فى (الفهرست) ص ١٩٨ ، وكذلك عنه نقل ياقوت فى (معجم الأدباء) ١٩٠/٤ . ولى ملاحظتان حول هذه المعلومة : **الأولى** : أن نسب الأمير المذكور الصحيح هو (نصر أحمد بن أسد بن سامان) أول حكام الدولة السامانية (راجع تاريخ الطبرى ٥١٤/٩ ، والكامل ٥٣/٦) ، وفيات الأعيان ١٦١/٥ ، ونهاية الأرب للنويرى (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب) حـ٢٥ ص ٣٣١) .

والثانية : أن الجيهانى كان وزيراً للأمير نصر الثانى (نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد ابن أسد بن سامان ٣٠١ -٣٣١هـ) . وقد لعب الجيهانى دوراً مهماً فى عهد ذلك الأمير الصغير ، الذى ولى بعد مقتل والده ، وهو ابن ثمانى سنين ، فتولى أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهانى تدبير الدولة ، فأمضى الأمور ، وضبط المملكة ، واتفق هو وحشم والد الأمير (نصر بن أحمد) على تدبير المملكة . (معجم الأدباء ١٥٧/١٧ ، والكامل ٤٧٩/٦ ، ونهاية الأرب ٢٥ / ٣٤١- ٣٤٢) . هذا وقد ورد ذكر الجيهانى فى (أحداث سنة ٣٠٢هـ) ، عندما خلص من الأسر رجلاً يدعى (الحسين بن على) فى بخارى ، أثناء فترة الصراعات المحتدمة ؛ مما أعاد هذا الرجل إلى الطاعة (الكامل ٤٨٥/٦، ونهاية الأرب ٣٤٤/٢٥) . ولا نجد ذكراً - بعد ذلك - للجيهانى ، لا ندرى تاريخ وفاته ! غير أنى وجدت فى (معجم الأدباء) ١٩٢/٤ ، وفميا نقله عن كتاب محمد بن سليمان (فريد التاريخ فى أخبار خراسان) : أن الجيهانى كان على وزارة نوح بن منصور ، ثم صرفت عنه الوزارة فى (شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٧هـ ، ووليها أبو الحسين عبد الله بن أحمد العتبى) . فلئن صح هذا الخبر ، فيكون الجيهانى توفى بعد السنة المذكورة ، لكن يحترز من ذلك بأنه لم يرد له ذكر فى فترة تحكم هذا الأمير (نوح بن منصور (٣٦٦ - ٣٨٧هـ / ٩٧٦ - ٩٩٧م) ، والذى ذكر هو الوزير العتبى الذى قتل سنة ٣٧٢هـ (نهاية الأرب ٢٥ / ٣٥٩) ، بالإضافة إلى امتداد حياة الرجل - بناء على ذلك التاريخ - فترة طويلة ، خاصة أن الراجح أنه ألف كتابه (المسالك والممالك) المذكور فى الفهرست ص ١٩٨م ، ومعجم الأدباء ١٩٠/٤ - بين عامى (٢٧٩ هـ / ٨٩٢م ، ٢٩٥ / ٩٠٧م) ، بناء على صلاته بالجغرافيين الآخرين . ونقلهم عنه (مثل : ابن خرداذبه المتوفى سنة ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م) . (تاريخ الأدب الجغرافى ٢٢١/١) .

(١٥٤) أحسن التقاسيم ص ١٩ - ٢٠ .

(١٥٥) المصدر السابق ص ٢٠ - ٢١ .

(١٥٦) قال بذلك كراتشكوفسكى فى (تاريخ الأدب الجغرافى العربى) جـ١ ص ٢١٠ .

(١٥٧) راجع المصدر السابق ص ٢٢ ، ٢٤ - ٢٥ ، ٨٥ ، ٩٤ - ٩٥ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، ١٦٢ .

(١٥٨) السابق ص ١٧ .

(١٥٩) السابق ص٢٣ .

(١٦٠) السابق ص٢١ (وبها أمثلة ضربها للتوضيح) .

(١٦١) السابق ص ٢٢ (وقد علل ذلك بعلل ، نذكرها عند تناول وضوح شخصيته) .

(١٦٢) السابق : الصفحة نفسها .

(١٦٣) السابق ص٢٣ .

(١٦٤) من ذلك قوله : (وهذا مثاله وشكله ، هذا شكله ومثاله ، وهذا شكل الإقليم ومثاله في الصفحة المنقلبة . (راجع صفحات ١٠٣ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٦٥ ، ١٨٣) ولعل خرائط المقدسى المشار إليها تفوق تلك الخرائط النظرية ، التى أشار إليها د. حسين مؤنس ، والموجودة لدى الخوارزمى وغيره من الرحالة الجغرافيين (كأبن حوقل) ، تلك التى كانت لمجرد التوضيح ، وبيان مواقع البلاد بالنسبة لبعضها دون تدقيق ، ولمجرد بيان الهيئة العامة للأرض وبحارها . (تاريخ الجغرافية والجغرافيين) ص ٢٦٧ .

(١٦٥) أبو حنيفة فقيه عراقى ، فناسب ذلك ذكر مذهبه فى (إقليم العراق) ، وقد ذكر بالفعل (راجع أحسن التقاسيم) ص ١١٣ - ١١٤ .

(١٦٦) المصدر السابق ص ٤٦ .

(١٦٧) فهى القراءة المختارة فى ذلك الإقليم (راجع السابق) ص ١٢٦ - ١٢٧ .

(١٦٨) تاريخ الأدب الجغرافى العربى جـ١ ص ٢١١ .

(١٦٩) أحسن التقاسيم ص ٢٢ .

(١٧٠) المصدر السابق ص ٢٠٤ .

(١٧١) السابق ص ٧٣ .

(١٧٢) السابق ص ١٣٤ .

(١٧٣) السابق ص٦٥ .

(١٧٤) السابق ص١٠٥ .

(١٧٥) السابق ص١٠٦ .

(١٧٦) السابق ص٩٤ .

(١٧٧) سورة البقرة : ٢ / من الآية ١٠٢ .

(١٧٨) أحسن التقاسيم ص ١٠٤ - ١٠٥ .

(١٧٩) المصدر السابق ص ١١٣ - ١١٤ .

(١٨٠) السابق ص ٤١ - ٤٢ .

(١٨١) السابق ص٩٨ .

(١٨٢) السابق ص١٩٧ .

(١٨٣) السابق ص٧٧ - ٧٨ .

(١٨٤) السابق ص ١١١ .

(١٨٥) السابق ص١٤٠ .

(١٨٦) السابق ص ١٣٩ .

(١٨٧) فى (سنن ابن ماجة ط. دار الريان) حديث ورد فى (كتاب الفتن) ، باب (افتراق الأمم) جـ٢ ص ١٣٢٢ (حديث رقم ٣٩٩٢) ، رواه بسنده إلى راشد بن سعد ، عن عوف بن مالك ، عن الرسول ﷺ ، قال : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة فى الجنة وسبعون فى النار . وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، فإحدى وسبعون فى النار ، وواحدة فى الجنة . والذى نفس محمد بيده ، لتفترقه أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ؛ واحدة فى الجنة ، وثنتان وسبعون فى النار . قيل يا رسول الله ، من هم ؟ قال : الجماعة) . وعلق المحقق أن إسناد الحديث فيه مقال .

(١٨٨) أحسن التقاسيم ص ٤٥ - ٤٦ .

(١٨٩) المصدر السابق ص ٥٤ .

(١٩٠) السابق ص ١٥ - ١٦ ، ١٩٩ .

(١٩١) السابق ص ١٩ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٤٩ ، ١٩٩ .

(١٩٢) السابق ص١٩ - ٢١ ، ٤٩ .

(١٩٣) من أمثلة ذلك : وصفه المحيط الهندى (ولا أحب أن أطول هذا الأصل ، وإلا ذكرت مراسى هذا البحر ، والطرق فيه) . السابق ص ٢٦) . وكذلك قوله فى (إقليم المغرب): (ولولا خوف الملال وطول الكتاب ، لوصفت بقية مدائن إفريقية ، وأكثر مدائن الكور فى جميع الإسلام ، وكلنا نميل إلى الإيجاز ، ونذكر ما لا بد منه) . (السابق ص ١٨٩).

(١٩٤) وذلك فى موضع (الأشياء التى يختلف فيها أهل الأقاليم) ص ٣٩ .

(١٩٥) امتدت من (ص ١٥ - ٧٢) ، وهى ضرورية على اختلاف فصولها ، لكنها كان يمكن اختصار مادة بعضها من الداخل ، فتكون أوجز وأخصر وأعمق (مثل : توسعه فى ذكر البحار والأنهار ص ٢٤ - ٣٤ ، والباب الذى اختصره للفقهاء ، واكتفى فيه بسرد الأمصار ومدنها من ص ٥٤ - ٦٥ ، وفصل ذكر اقاليم العالم ومركز القبلة ص ٦٦ - ٧٢) . والملاحظ أن عدداً من تلك الفصول سيأتى بيان ما فيها داخل الأقاليم الجغرافية عند وصفها .

(١٩٦) من الأمثلة النادرة : إشارته السريعة الخاطفة إلى الفقيه الإمام (أبى جعفر الأزدى - ولعله يقصد الطحاوى عند تعريفه بمدنية (طحا) فى مصر . (ص ١٧١) .

(١٩٧) ص ٧٩ - ٨٠ .

(١٩٨) ص ٧٤ .

(١٩٩) ص ٧٤ - ٧٥ .

(٢٠٠) ص ٤٣ .

(٢٠١) مثل قوله ص ٤٢ : « ولا أعف من أهل بيت المقدس ... ولا أصح موازين من أهل الكوفة ، وعسكر مكرم ... ولا أحسن من أهل حمص ... ولا أوطأ من أهل مصر » .

(٢٠٢) قال المقدسى فى الصفحة نفسها : (وليس أكثر ولا أرذل من مذكرى نيسابور ، ولا أطمع من أهل مكة ... ولا أفقر من أهل يثرب ... ولا أبخس من أهل عمان ، ولا أجهل من أهل عمان) .

(٢٠٣) ص ١٢٩ .

(٢٠٤) الصفحة السابقة نفسها .

(٢٠٥) ص ١٧٩.

(٢٠٦) تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢٠٧) فمثلاً : يبدى المقدسى موافقته على ما طالعه فى كتاب (الطلسمات) ، حول وجود طلسمين فى مصر ؛ للوقاية من خطر تماسيح النيل ، حيث يقول : ألا ترى أن التماسيح فى كورة (الفسطاط) لا تضر مع عظمها وكثرتها . (أحسن التقاسيم ص ١٧٩) .

(٢٠٨) يظهر ذلك عند حديثه عن (عجائب إيليا بالشام) ، حيث المغارة العظيمة الموجودة بظاهر البلد ، تلك التى قرأ عنها فى بعض الكتب ، حيث أرجع تاريخها إلى قوم موسى . قال المقدسى : وما صح لى ذلك . (المصدر السابق ص ١٥٩) .

(٢٠٩) حيث وصفهم مادحاً بقوله : (ولا أحسن من أهل حمص) ، ثم قال بعدها بقليل (ولا أحمق من أهل حمص) . (السابق ص ٤٢) . وكان الأولى أن يوضح جمال إحسانهم ، وموطن حمقهم .

(٢١٠) هذه بلدة المقدسى ؛ ولذلك أظهر كثيرا من محاسنها ، وأفرط فى مدحها ، وفضلها على ما سواها ، شارحاً ومحللاً ومعللاً . فمن ذلك قوله : (لا ترى بها بخسا ولا تطفيفا، ولا شرباً ظاهراً ، ولا سكران ، ولا دور فسق سراً ولا إعلاناً ، مع تعبد وإخلاص . ولقد بلغهم أن الأمير يشرب ، فتسوروا عليه داره ، فرقوا أهل مجلسه) (السابق ص٢٢). وبلغ به الإعجاب ببلده أنه كان وهو يتحدث عن السوق العامر بمدينة (حلوان) بالعراق ، وبساتينها ، والفاكهة بها ، لا ينسى بلده ، فيعقد مقارنة بينهما لصالح بلده ، فيقول : (وبيت المقدس أكبر وأحل ، وأعمر وأظرف ، وأكثر مشايخ وعلماء منها) . (السابق ص ١١٠) . ويواصل فى موضع آخر الحديث عن بلده ، وطيب هوائها ، فلا ترى

أحسن من بنيانها ، ولا أنظف منها ، ولا أكثر من خيراتها (السابق ١٤٣ - ١٤٤) .
ويقال فى القسم الثانى من كتابه ، وهو يذكر مدينة (سرخس) من (إقليم خراسان) : بيت المقدس مثل سرخس ، غير أن بيت المقدس بلد نظيف حسن ظريف (السابق ص ٢٤٦) . وبعد هذا الإغراق فى المدح لبلده ، إذا به يقول : إلا أن لها عيوباً عدة ، فيذكر منها ما يلى : (ثم لا ترى أقذر من حماماتها ، ولا أثقل مونة . قليلة العلماء ، كثيرة النصارى ... لا بمجلس نظر ولا تدريس ، وقد غلب عليها النصارى واليهود ، وخلا المسجد من الجماعات والمجالس) . (السابق ص ١٤٤) .

(٢١١) السابق ص ٧٧ .

(٢١٢) السابق ص ٨٣ .

(٢١٣) السابق ص ٨٧ .

(٢١٤) السابق ص ٨٨ .

(٢١٥) السابق ص ٩٧ - ٩٨) .

(٢١٦) السابق ص ١١٦ - ١١٨ .

(٢١٧) السابق ص ١٦٢ .

(٢١٨) السابق ص ١٨٠ .

(٢١٩) السابق ص٢٠١ .

(٢٢٠) الأخبار الطوال (طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومى) ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(٢٢١) تاريخ الطبرى ٦/ ١٨٧ - ١٨٨ .

(٢٢٢) البداية والنهاية (طبعة دار الريان للتراث) جـ٨ ص ٣٣٤ - ٣٤٩ .

(٢٢٣) تاريخه جـ٦ ص ١٩٥ .

(٢٢٤) راجع (السيرة النبوية ، لابن هشام ، الطبعة الثانية ١٩٥٥م ، طبع ونشر : مصطفى الحلبى) ، القسم الأول ص ٤٩٥ .

(٢٢٥) راجع أحداث غزوة أحد تفصيلاً فى (المصدر السابق) ، القسم الثانى ص ٦٠ وبعدها .

(٢٢٦) جـ٨ ص١٩٨ .

(٢٢٧) البيان المغرب (ط٣ - دار الثقافة بيروت) جـ١ ص ٨٣ ، فيما ينقله عن (تاريخ الرقيق).

(٢٢٨) فى تاريخه جـ٨ ص ١٩٩ .

(٢٢٩) البيان المغرب ٨٣/١ .

(٢٣٠) كتبت فى (معجم البلدان) لياقوت جـ٥ ص ٤٤٢ بالقصر هكذا : وليلى ، وقال عنها: مدينة بالمغرب قرب طنجة ، دخلها إدريس بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على ناحياً من وقعة (فخ) ، وحصل بها سنة ١٧٢هـ أيام الرشيد إلى أن مات بها مسموماً - فى قصة طويلة - سنة ١٧٤هـ .

ويلاحظ أن هذا هو الاسم الصواب لتلك المدينة . أما (زويلة) الواردة فى كتاب (المقدسى) ، فغير مقصودة هنا ، ولعلها تحريف من النساخ ، لم يفطن إليه المحقق ، ولعل مطالعتنا تعريف ياقوت لها يؤكد صحة ما نقول ، فهناك (زويلة السودان) ، وتقع بين بلاد السودان وإفريقية وسط الصحراء (أول بلاد السودان) . (معجم البلدان) جـ٣ ص ١٧٩ . وهناك (زويلة المهدية) ، وهى مدينة بإفريقية ، بناها عبيد الله المهدى ، وأسكنها العامة (المصدر السابق ١٨٠/٣) . وواضح أن كلتا المدينتين غير مقصود فى هذا السياق .

(٢٣١) تاريخه جـ٨ ص ١٩٩ .

(٢٣٢) البيان المغرب ٨٣/١ .

(٢٣٣) أحسن التقاسيم ص١١٧ .

(٢٣٤) تاريخ الطبرى ٤٢١/٧ .

(٢٣٥) ولى المعتز سنة (٢٥٢ - ٢٥٥هـ / ٨٦٦ - ٨٦٨م) ، والمعتمد (٢٥٦ - ٢٧٩هـ / ٨٦٩ - ٨٩٢م) .

(٢٣٦) راجع أخباره فى (تاريخ الطبرى) جـ٩ ص ٣٩١ - ٤٥٦ .

(٢٣٧) أحسن التقاسيم ص ١٧٧ .

(٢٣٨) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٢٣٩) تاريخ الخلفاء للسيوطى (ط . دار القلم - بيروت) ص ٤٠٥ .

(٢٤٠) أحسن التقاسيم ص ١١٧ .

(٢٤١) تاريخ الخلفاء ص ٤١٩ .

(٢٤٢) أحسن التقاسيم ص ١١٧ .

(٢٤٣) تاريخ الخلفاء ص ٤٣١ .

(٢٤٤) أحسن التقاسيم ص ١١٨ .

(٢٤٥) تاريخ الطبرى ١٧٣/٨ .

(٢٤٦) أحسن التقاسيم ص ١١٧ .

(٢٤٧) راجع (وفيات الأعيان) لابن خلكان ٣٧٩/٦ .

(١٤٨) راجع (أحسن التقاسيم) ص ١١٧) ، وتاريخ الطبرى ٣٧١/٩ .

(٢٤٩) المصدر السابق ٤٣٧/٩ .

(٢٥٠) السابق ٥١٤/٩ .

(٢٥١) السابق ٥١٥/٩ .

(٢٥٢) معلوم أن أولاد بويه ثلاثة : الأكبر (ابو الحسن عماد الدولة على بن بويه) ، والأوسط (ركن الدولة الحسن بن بويه) ، وهو والد عضد الدولة المشهور ، والأصغر أبو الحسن أحمد فى حكم بلاد فارس (٣٢٠-٣٣٨هـ/٩٣٢ - ٩٤٦م) . (راجع ترجمته فى : الكامل ٢٣٠/٧ ، ووفيات الأعيان ٣٩٩/٣ ، والنجوم ٣٤٣/٣) . أما معز الدولة الذى ولى العراق ، فقدم بغداد سنة ٣٣٤هـ ، توفى سنة ٣٥٦هـ ، وعهد لولده (بختيار) من بعده . وكان يحكم إلى جانب العراق - الأهواز - وهو عم عضد الدولة .

له ترجمة فى تكملة تاريخ الطبرى للهمذانى ص ٤٠٧ ، ووفيات الأعيان ١/١٧٤ - ١٧٦ ، والنجوم الزاهرة ٤/١٦ (وفيه حرفت كنيته من أبى الحسين إلى ابى الحسن) .

(٢٥٣) هو أبو منصور بن معز الدولة . ملك العراق بعد وفاة أبيه ٣٥٦هـ / ٩٦٧م ، وكانت بينه وبين ابن عمه (عضد الدولة) منازعات ، حتى قتل فى إحدى معاركه أمامه بعد فترة إمارة ، امتدت أحد عشر عاماً وشهوراً ، سنة ٣٦٧هـ / ٩٧٧م . (راجع تكملة تاريخ الطبرى للهمذانى ص ٤١٠ ، والكامل ٧/٣٧٨ ، والنجوم ٤/١٣٣ - ١٣٤) .

(٢٥٤) هو فنا خسرو بن ركن الدولة أبى على الحسن بن بويه الديلمى . ولى سنة ٣٦٧هـ ، وتوفى ٣٧٢هـ بالعراق . (وفيات الأعيان ٤/٥٠ - ٥٥) .

(٢٥٥) الكامل ٧/٤٣٦ .

(٢٥٦) أحسن التقاسيم ص ١٧٥ .

(٢٥٧) المصدر السابق ١١١ .

(٢٥٨) كتاب (المقدسى) للدكتور فلاح شاكر ص ١٣٤ .

(٢٥٩) أحسن التقاسيم ص ١٧٥ .

(٢٦٠) كتاب (المقدسى) د. فلاح شاكر ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢٦١) أحسن التقاسيم ص ١٦٦ - ١٦٧ ، ١٦٩ - ١٧١ ، ١٨٣ ، ١٨٦ .

(٢٦٢) السابق ١٢٩ ، ١٧٠ .

(٢٦٣) السابق ١٧٧ .

(٢٦٤) السابق ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢٦٥) السابق ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٢٦٦) السابق ص ١١١ .

(٢٦٧) السابق ص١٢٥ ، ١٢٩ .

(٢٦٨) كتاب (المقدسى) د. فلاح شاكر ص ١٠٣ - ١٢٧ .

(٢٦٩) أحسن التقاسيم ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢٧٠) المصدر السابق ص ٨٢ .

(٢٧١) السابق ١٤٤ - ١٤٥ .

(٢٧٢) السابق ص١٣٩ - ١٤٠ .

(٢٧٣) السابق ص١٦٩ .

(٢٧٤) السابق ص ٨٦ ، ٩٢ ، ١١٤ - ١١٥ ، ١٢٨ ، ١٥٤ - ١٥٦ ، ١٧٣ ، ١٩٧ .

(٢٧٥) السابق ١٦٧ ، وكتاب (المقدسى) د. فلاح شاكر ١٤٧ - ١٤٨ .

(٢٧٦) أحسن التقاسيم ٧١ - ٧٢ ، ١١٨ - ١١٩ ، ١٨٠ - ١٨١ .

(٢٧٧) المصدر السابق ٨٣ ، ١٢٥ ، ١٦٩ ، ١٨٦ .

(٢٧٨) السابق ص٩٣ - ٩٤ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٥٦ ، ١٧٤ ، ١٩٨ . وراجع (المقدسى) د. فلاح شاكر ص ١٥٧ - ١٦١ (وما يقابل المكاييل والأوزان الآن ص ١٦٢ - ١٦٧) . وراجع ما يتصل بالنقود ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢٧٩) أحسن التقاسيم ص ٨٤ ، ١١٢ .

(٢٨٠) السابق ص ١٥٧ ، ١٩٧ .

(٢٨١) السابق ص١٦٨- ١٦٩ (الدور فى الفسطاط اربع طبقات وخمس طبقات ويسكن الدار نحو مائتى نفس ، والناس كالجراد ، هكذا رآهم الحسن بن أحمد القرمطى ، فهاله ما رأى ، فقيل له : هولاء نظارة فقط ، وما لم يخرج أكثرهم) .

(٢٨٢) السابق ص٩٧ (حفاء أهل مكة ، وظرف أهل اليمن ، وتطفيف وتخسير وفسق أهل عمان ، ٩٩ (نحافة وقناعة سكان شبه الجزيرة العربية ، واكتفاؤهم بالخفيف من الثياب)، ص ١٦٩ (أهل مصر وخوفهم من القحط ، وتربصهم البلاء ، وإشرافهم على الجلاء ؛ خوف انقطاع النهر) .

(٢٨٣) السابق ص١١٥ ، وعن الحمامات راجع ص ٨٤ ، ١٢٥ ، ١٧٧ .

(٢٨٤) السابق ص ١٥٦ .

(٢٨٥) السابق ص ٩٤ ، ١٩٧ .

(٢٨٦) السابق ٩٤ ، ٩٥ (زينات فوق المنازل ، ونصب للقباب ، وتزيين للأسواق) .

(٢٨٧) السابق ١٦٩ .

(٢٨٨) السابق ص٤٤- ٤٦ ، ١٩٦ - ١٩٧ .

(٢٨٩) السابق ص ٤٦ ، ٩١ ، ١١٤ ، ١٢٦ - ١٢٧ ، ١٥٤ ، ١٧٢ ، ١٩٧ .

(٢٩٠) السابق ص٩٦ ، ١١٦ ، ١٢٦ .

(٢٩١) السابق ص ١١٢ .

(٢٩٢) السابق ص ١٧٤ .

(٢٩٣) السابق ص ٩٠ - ٩١ ، ١١٤ ، ١٢٩ ، ١٧٢ ، ٢٠٠ .

(٢٩٤) السابق ص ١٥١ .

(٢٩٥) السابق ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٢٩٦) جـ٣/١٩٤ ، ١٩٦ ، ٤٦٤ ، جـ٤ /١٧١ ، ٥١٦ ، ٥/١٩٦ ، ٣٢٦ . ويلاحظ أنه سمى كتاب المقدسى (أخبار بلدان الإسلام) . ونقل عنه فى (معجم الأدباء) ٣/٨٦ ، وسماه (كتاب البلدان) . وتجدر الإشارة إلى أن د. حسين مونس ذكر أن كتاب الروض المعطار) للحميرى حافل بالنقل عن المقدسى وغيره ، لكن صاحبه لم يكن يصرح بمصادره . (تاريخ الجغرافية والجغرافيين) ٥٣٨ .

(٢٩٧) الحضارة الإسلامية فى ق ٤ هـ ، لآدم متز (من الترجمة العربية - طبعة ١٩٤١) جـ٢ ص ٤ .

(٢٩٨) المرجع السابق ص ٧ .

مصادر ومراجع البحث(*)

* القرآن الكريم :

- **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** : لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر البناء المقدسى (المتوفى أواخر ق ٤هـ) . دار إحياء التراث العربى - بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م . وضع مقدمته ، وهوامشه ، وفهارسه : : د. محمد مخزوم .

- **الأخبار الطوال** : لأبى حنيفة أحمد بن داود الدينورى (ت ٢٨٢هـ) . سلسلة (تراثنا) . نشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومى ، د. ت . تحقيق : عبد المنعم عامر . مراجعة : د. جمال الدين الشيال .

- **الأعلام** : لخير الدين الزركلى ، الطبعة التاسعة ، دار العلم للملايين - بيروت ١٩٩٠م .

- **الأنساب** : الإمام أبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى السمعانى (ت ٥٦٢هـ) . الطبعة الأولى ، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع دار الجنان - بيروت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م . تقديم ، وتعليق : عبد الله عمر البارودى .

- **البداية والنهاية** : أبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧٤هـ) الطبعة الأولى ، دار الريان للتراث بالقاهرة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ . دقق أصوله، وحققه : د. أحمد ملحم ، وآخرون .

(*) القرآن الكريم هو المصدر الأول ، ويوضع على رأس القوائم . ويتم ترتيب المصادر والمراجع معاً ترتيباً هجائياً حسب عنوا الكتاب ، مع إسقاط (ال) من الترتيب ، ويتم إفراد المراجع الأجنبية وحدها فى نهاية المصادر والمراجع العربية .

- **البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب** : لابن عذارى المراكشى (توفى حوالى نهاية ق ٧هـ) ، الطبعة الثالثة ، دار الثقافة - بيروت ، ضمن سلسلة (المكتبة الأندلسية) رقم (٢٢) ، ١٩٨٣م . تحقيق ، ومراجعة : ج . س . كولان ، أ. ليفى بروفنسال .

- **تاريخ الأدب الجغرافى العربى** : تأليف : كراتشوفسكى . طبعة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٣م . ترجمة إلى العربية : صلاح الدين عثمان هاشم .

- **تاريخ الأدب العربى** : لكارل بروكلمان . نشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م .نقل الكتاب إلى العربية : أ . د. عبد الحليم النجار ، وآخرون . الإشراف على الترجمة العربية : أ. د. محمود فهمى حجازى .

- **تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس** : ، للدكتور حسين مؤنس . الطبعة الثانية ، طبعت بعناية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٦م .

- **تاريخ الخلفاء** : لجلال الدين عبد الرحمن بن كمال الدين السيوطى (ت ٩١١هـ) الطبعة الأولى ، دار القلم - بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م . حققه ، وقدم له ، وخرج آياته ، قاسم الشماعى الرفاعى ، ومحمد العثمانى .

- **تاريخ الرسل والملوك** : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٧م ، تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم .

- **تكملة تاريخ الطبرى** : لمحمد بن عبد الملك الهمذانى (ت ٥٢١هـ) . الطبعة الثانية ، دار المعارف بالقاهرة (نشر ضمن ذيول تاريخ الطبرى فى جـ١١ منه)، ١٩٨٢ م . تحقيق : محمد أبى الفضل إبراهيم .

- **الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى** : لآدم متز ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م . نقله إلى العربية : محمد عبد الهادى أبو ريدة .

- **الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية** : للدكتور محمد ضياء الدين الريس ، الطبعة الخامسة ، مكتبة دار التراث بالقاهرة ، ١٩٨٥م .

- **سنن ابن ماجة** : للحافظ أبى عبد الله محمد بن يزيد القزوينى (ت ٢٧٥هـ)، مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، د. ت . حقق نصوصه ، ورقم كتبه ، وأبوابه، وأحاديثه ، وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقى .

- **السيرة النبوية** : لأبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى (ت ٢١٨هـ) . الطبعة الثانية ، ملتزم الطبع والنشر : مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م . حققها ، وضبطها وشرحها ، ووضع فهارسها : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى ، وعبد الحفيظ شلبى .

- **الفهرست** : لأبى الفرج محمد بن ابى يعقوب إسحاق المعروف بـ (ابن النديم) (ت حوالى سنة ٣٧٧هـ) . الناشر : دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت ، د. ت .

- **الكامل فى التاريخ** : لأبى الحسن على بن أبى الكرم الشيبانى (ابن الأثير المتوفى ٦٣٠هـ) . الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م . راجعه وصححه : د. محمد يوسف الدقاق .

- **كشف الظنون** : لحاج خليفة (ت ١٠٦٧هـ) . طبعة : دار العلوم الحديثة - بيروت ، د. ت.

- **لسان العرب** : لجمال الدين بـن منظـور (ت ٧١١هـ) . نشـر : دار المعـارف بمصر ، د. ت. تحقيق : نخبة من العاملين بدار المعارف .

- **المسالك والممالك** : لأبـى القاسـم عبيـد الله بـن عبـد الله المعـروف بـ (ابـن خرداذبه) المتوفى حوالى (٣٠٠هـ) . نشر : دى غويـه (صورتـه . ونشـرته :مكتبة الثقافة الدينية) د. ت .

- **المسالك والممالك** : لإبراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى (توفى فى النصف الأول مـن ق٤ هـ) سلسـلة (تراثنـا) ، وزارة الثقافـة والإرشـاد القومـى ١٣٨١هـ / ١٩٦١م . تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحينى . مراجعة : محمد شفيق غربال .

- **مصر فى عصر الإخشـيديين** : للدكتـوره سـيدة إسمـاعيل كاشـف . نشـر فـى سلسلة (تاريخ المصريين برقم ٢٩) . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩م.

- **معجم الأدباء** : لياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦هـ) . الطبعة الثالثـة ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨٠م .

- **معجم البلدان** : لياقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦هـ) . الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م . تحقيق فريد عبـد العزيـز الجندى .

- **معجم المؤلفين : تراجم مصنفى الكتب العربية** : لعمر رضـا كحالـة ، الطبعـة الأولى ، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

- **المعجم الوسيط** : إعداد ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعـة الثالثـة ، مطـابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية ١٩٨٥م .

- **المقدسى** : للدكتور فلاح شاكر أسود . سلسلة (نوابغ الفكر العربى ، الطبعة الأولى ، دار الشئون الثقافية العامة بالعراق - بغداد ١٩٨٨م .

- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** : لتقى الدين أحمد بن على المقريزى (ت ٨٤٥هـ) ، الطبعة الثانية . الناشر : مكتبة الثقافة الدينية ١٩٨٧م .

- نبذ من كتاب الخراج وصنعه الكتابة) لأبى الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى (ت ٣٢٠هـ) . نشر : دى غويه (صورته ، ونشرته : مكتبة الثقافة الدينية فى نفس مجلد كتاب ابن خرداذبه) د. ت .

- **نهاية الأرب فى فنون الأدب** : لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى (ت ٧٣٣هـ) ، الجزء الخامس والعشرون ، مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة الكتاب ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م . تحقيق جابر عبد العال الحينى ، مراجعة د. عبد العزيز الأهوانى .

- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : لأبى العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلكان (ت ٦٨١هـ) . دار صادر - بيروت ، د. ت . حققه : د. إحسان عباس .

1 - M. Miquel : AL - Mukaddasi, published in the Encyclopaedia of Islam (New edition), Leiden - New York, vol.7, 1993.

2 - Maqdisi, al, published in the new Encyclopaedia Britanniica, Chicago, U. S. A., vol.7, 1985.